طفل أم رجل
باسم برتي

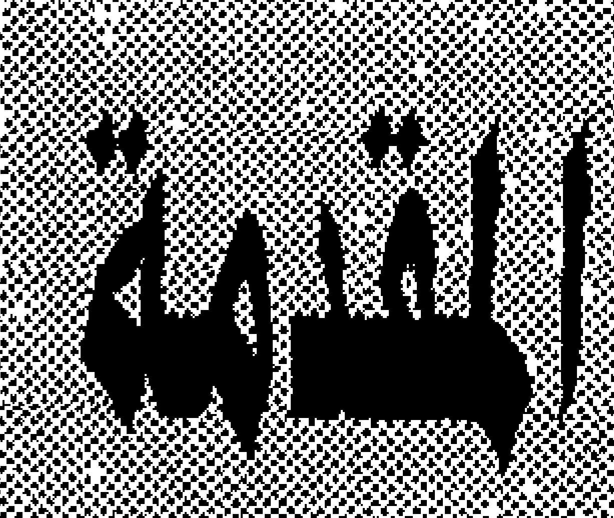
طفل أم رجل

تساؤلات ... على طريق النضج الروحي

بقلم
باسم بارتي

رقــم الإيــداع : ٩٥/٩٨٩٤

الترقيم الدولى : I.S.B.N 977- 00 - 0127 - 9



لماذا ... ولمن كتبت؟

« إلى متى يارب تنسانى كل النسيان؟ إلى متى تحجب وجهك عنى ؟ إلى متى أجعل هموماً فى نفسى وحزناً فى قلبى كل يوم؟ إلى متى يرتفع عدوى عليّ؟» مز ۱۳ : ۱-۲

أسئلة كثيرة ظلت تدور وتتخبط داخلى ما يقرب من الخمس أعوام ، رافقتها حائراً ، تهت معها بعيداً حتى الضياع .

مراراً كثيرة حاولت أن أجد إلهى الذى أحبنى ، بحثت عنه بين آلامى وجراحى!! يارب لقد نسيتنى فعلاً . إنها فترة طويلة مؤلمة .

لم تعد تذكر من أنا وكأنى محيت من فكرك ، طردت من رحمتك وإن لم يكن فأين أنت ؟ لماذا لم أعد أراك ؟

طال بحثى عنك فى تلك الأماكن حيث

أعتدت أن أراك من قبل دون فائدة !! لماذا تختفى يارب ؟

حدث لى كسراب لا يمكننى الوصول إليه ؟ غرقت نفس فى الهموم واعتصر الحزن قلبى من صباح إلى مساء، نسيت معنى الفرح ، لم يعد ضحكى أكثر من انقباض كريه لعضلات وجهى .. آه يالى من تعس شقى !!

وبقدر ما بعدت عنى ارتفع عدوى عليّ ، صارت الهزيمة طعامى ، تعودت أن ألعق جراحى وليس من يهتم . تماديت فى ابتعادى معتقداً أننى بذلك أستثيره للتدخل والظهور من جديد فى حياتى ، ولكن بدون جدوى . لا أفهم ما يحدث ؟!

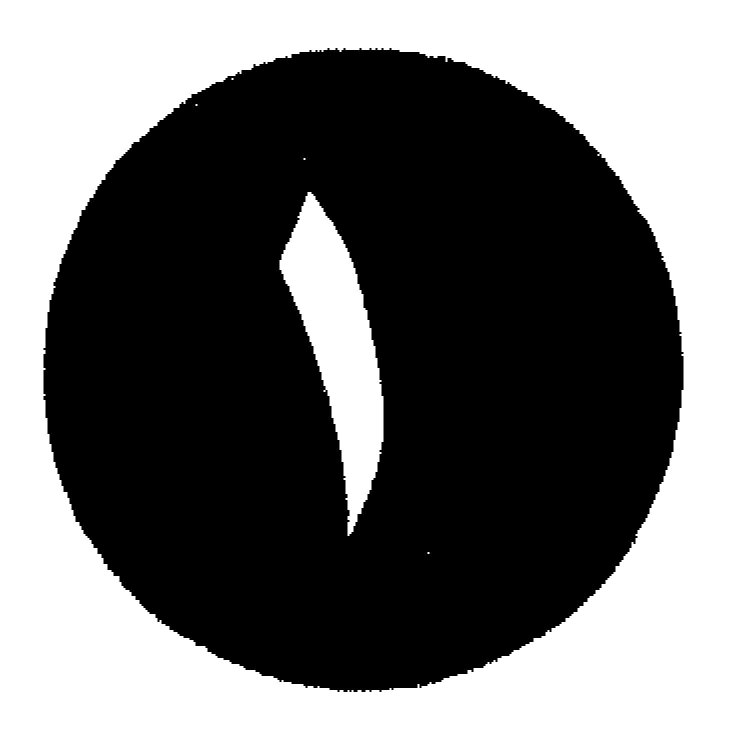
لماذا يامن أحببتنى ؟ والى متى ؟ أشك فى أنك قبلتنى أصلاً!! ربما كان الأمر خدعه !! ، أو مجرد حلم جميل !!

فلا يمكن أن تكون تلك هى الحياة، وذلك هو الأفضل الذى أتى يسوع ليقدمه لى !!

أخى الحبيب أختى الحبيبه أنا لا أكتب أدباً ، ولست بصدد تأليف دراما مسرحيه فقط حاولت أن أصف بما أسعفنى من كلمات حالتى التى دامت سنين طويله يئست فيها من الشفاء ووصلت الى حد االانهيار .

ربما أثار أسلوبى عواطفك أو حرك شجون قديمة بداخلك وليس هذا ما أطلبه ، لأنك لن تدرك هذه الحالة إلا إذا مررت بها، ولن تجد لأسئلتى معنى إلا عندما تتفجر بداخلك محطمه كل القيود والضوابط .

فإن كانت هذه هى حالتك فأنت هو من قادنى الله للكتابه إليه .



هل أنا لازلت طفلا

ولد

لكم اليوم .. مخلص . وكان الصبي ينمو ويتقوى بالروح ممتلئاً حكمة وكانت نعمة الله عليه ... وأما يسوع فكان يتقدم في الحكمة والقامة والنعمة عند الله والناس » لو ٢ :١١ ، ٤٠ ، ٥٢ .

« إن كان أحد لا يولد من فوق لا يقدر أن يرى ملكوت الله» يو ٣:٣

«انموا في النعمة وفي معرفة ربنا ومخلصنا يسوع المسيح» ٢بط ٣ : ١٨

بالرغم من معرفتنا التامة وقبولنا البسيط لأسلوب الله الطبيعي في تدرج حياتنا البشرية بداية بالولادة التي تليها مراحل النمو المختلفة إلى أن نصل إلى الشيخوخة، إلا أننا نرفض ونتجاهل نفس هذا الأسلوب الإلهي لحياتنا الروحية ونموها !!

ومع أن الرب يسوع نفسه قد وُلد وسلك نفس خطوات النمو الطبيعية جسدياً وروحياً ، كما يتضح في نهاية الإصحاح الثاني من لوقا ، إلا أنه يغلب علينا الاعتقاد بعدم احتياجنا للمرور

بنفس خطوات الرب يسوع فى نمونا .

لعدم ادراكى ظننت أننى وّلدت رجلاً ، بينما فى الحقيقة لم أكن إلا طفلاً ولقد قادنى هذا للدخول فى متاهات فكرية وتقييم خاطئ لنفس وآخرين من حولى .

نظرت إلى نفسى فوجدت أننى نلت كل شئ واعتقدت أننى صرت كاملاً ، بينما الحقيقية أننى « كطفل كنت أفطن ، وكطفل كنت أفتكر » ١كو١٣:١١

جلست على كرسى الناقد الروحى لما يحدث حولى فى الاجتماعات الروحية ، فصرت أقيم الواعظ بإسلوبه الضعيف ، أو سوء اختيار الموضوع الذى تحدث فيه .. الخ .

جعلت نفسى وازناً لتصرفات الآخرين ودوافعهم المختلفة للعمل والخدمة وتولد داخلى رفض عام لكل الأخطاء ومظاهر الضعف فى الأوساط الروحية ، وصرت أبتعد عن هؤلاء الضعفاء- بحسب اعتقادى - الذين لم يصلوا إلى مستوى معرفتى وادراكى .

عجباً لك ياربى!! فالإنسان الطبيعى كلما زادت أيامه زادت معرفته وادراكه، بينما نجد أن هذا هو غالباً عكس ما يحدث للإنسان الروحى ، فبعد مضى الكثير من الوقت يكتشف أنه لم يعرف شيئاً يذكر بعد فيصرخ مع بولس طالباً « لأعرفه وقوة قيامته وشركه آلامه .. ليس أنى قد نلت أو صرت كاملاً ولكنى أسعى لعلى أدرك الذى لأجله أدركنى أيضاً المسيح

يسوع» في ٣: ١٠، ١٢

احتاج الأمر في حياتي لسنوات طويلة لاكتشف إنني لم أعرفه بعد !! فمن هو يسوع المسيح بالنسبة لي؟ وهل أستطيع فعلاً أن أشير إلى ملامح وأماكن وجوده في حياتي؟ وهل له نصيب في أحلامي أو طموحاتي؟

أدركت أنني أعرف الكثير عنه ، عن حياته وأفعاله ، ربما أفهم وأعرف دوافع مواقفه وأقواله جيداً، ولكنني في الحقيقة لا أعرفه هو !! لا أعرف يسوع المسيح شخصياً . ولم اختبر قوته وحقيقة وجوده الدائم في حياتي .

أكثرنا يتابع أخبار العظماء أمثال ملكة بريطانيا ، لذلك نرى تحركاتها وأحداث حياتها الصغيرة تحتل مساحات كبيرة في الصحف واهتمامات القراء . هب أنني تلقيت خطاباً تدعوني فيه جلالة الملكة للانضمام إلى عائلتها والعيش كأحد أفرادها، فذهبت فعلاً وأنا مذهول وكأني في حلم وبدأت أسمع الكثير ممن يعملون في القصر الحاكم عنها وعن كل ما يتعلق بها من صفات وعادات وعلاقاتها بالآخرين ، وكيفية قضاء وقتها وكنت استمتع بذلك كله ، وأمضيت وقتاً أكثر في معرفة كل شئ عنها، وصرت أحدث الآخرين بما أعرفه عن الملكة ، وفي الحقيقة الواقعة، إنني لم أجرؤ على مقابلتها ، إذ لم أدرك جيداً عمق دعوتها لي ، ولا معناها الحقيقي .

حتى أتى اليوم الذي أمرت فيه بإحضاري أمامها بعد ماطال

انتظارها أن أتي من نفسي دون فائده ترجى مني . حملوني إليها إذا أبت قدماى أن تحملني للذهاب إليها ، ملأني الرعب معتقداً أنها نهايتي المحتومة ، وما أن أصابتني نظرتها حتى فقدت الوعي . ولكنها كانت نظرة عتاب قاسية لتأخرى وخوفي.

بدأت الملكه شخصياً تجلس معي وتوضح لي ما هو وضعي الصحيح وماهية دعوتها لي ، كثرت أحاديثنا ، بدأت تشركني في بعض أعمالها ، وتطلعني على أسرارها ومخططاتها ، صرت أخرج وأدخل معها ، و آسف أيها القارئ المحبوب لأنني تماديت أكثر من اللازم في أحلامي مع الملكة . ولكن هذا هو بالضبط حقيقة ما حدث مع إلهي بعد ميلادى الثاني وقبولي دعوة ملك الملوك للدخول في ملكوت الله كابن الله .

تعبت كثيراً وفقدت وقتاً أكثر لعدم إدراكي لمراحل الحياة الروحية التي يمر بها كل من وُلد من فوق ، بالرغم من بساطتها ووضوحها إذا أعطانا الله مثلاً طبيعياً في مراحل نمو كل منا جسدياً . لذلك أردت أن أشارك هذه الأفكار التي توضح المراحل المختلفة للحياة الروحية راجياً من الله أن يكشف بروحه القدوس ذلك الغموض الحادث مع كل منا ، فقبل أن تقيّم بها الآخرين وتحكم عليهم أو تشرح لهم حاول أن تفهم أنت أولاً . أرجوك لا تكن حكيماً في نظر نفسك مثلما ظننت قبلاً في نفسي «لا يخدعن أحد نفسه . إن كان أحد يظن أنه حكيم بينكم في هذا الدهر فليصر جاهلاً لكي يصير حكيماً» ١ كو٣ :١٨

أولا : الولادة:

«كل من يؤمن أن يسوع هوالمسيح فقد وُلد من الله ... أن الله أعطانا حياة أبدية وهذه الحياة هى فى ابنه ، من له الابن فله الحياة ومن ليس له ابن الله فليست له الحياة » ١يو ٥:١، ١١، ١٢

وأيضاً فى الإصحاح الثالث من انجيل يوحنا نجد الرب يسوع يوضح لنيقوديموس أن شرط دخوله ملكوت الله هو أن يُولد من فوق ، إنها عملية يقوم بها الروح القدس عندما تؤمن أن يسوع هو ابن الله الممسوح والمخصص من الله ليموت عوضاً عنك ويدفع ثمن خطاياك وإذ تقبل الابن كرب ومخلص لحياتك، تُولد من جديد روحياً.

فهو قد أعطاك حياته وأخذ موتك عوضاً عنها !! لقد أحبك الله !! وهذا هو الله فى محبته .

وكما يفرح الأب الأرضى بولادة ابن جديد له، هكذا تفرح السماء بولادة ابن جديد فى العائلة السماوية « أما كل الذين قبلوه فأعطاهم سلطاناً أن يصيروا أولاد الله أى المؤمنين باسمه » يو ١:١٢

ومن ثم يتم تدبير كامل لكل احتياجات المولود الجديد ، الحفاظ عليه وحمايته من الأخطار ووقايته من أى ميكروبات، ورعايته وتدليله ويفيض عليه الأب بكل مشاعر الحب «بهجة الخلاص» فى الوقت الذى لا يدرك المولود فيه أى شئ مما يدور

حوله ولا يطالب بفهم أو إدراك أى شئ مما حدث له ، فلا ترى والديه يحاولان تعريفه بهما ، أو السلطات تعلن له جنسيته وحقوقه كمواطن ونظام الحكم السياسى فى بلده !! ... فهو لا يشعر إلا بأنه يتحرك ويتنفس والحياه تدب فيه. «كنت أعمى والآن أبصر » وهذا تماماً هو ما قد حدث لى ولك ولكل من قد قبل المسيح فى حياته وآمن به .

ثانيا : الطفولة

« وكأطفال مولودين الآن اشتهوا اللبن العقلى العديم الغش لكى تنموا به » ١ بط٢ :٢ ثم تأتى مرحلة الطفولة بمرحها ونشاطها الدائم فى اللعب والحركة، والاعتماد ببساطة على الآب السماوى ، وأنا مدرك أنه يهتم بى ويحبنى . واشتهاء اللبن العقلى الذى هو كلمة الله والتعليم منها مباشرة أو بإرشاد الذين يكبروننى روحياً لكى أنمو.

ولكننى لاحظت بتلك المرحلة شيئاً هاماً وهو أن علاقتى بالآب السماوى رغم بساطتها وقوتها إلا أنها سطحية ليس لها عمق يذكر ، فإذا أبعد الطفل الصغير عن أبيه أو أمه فسيغضب جداً ويظل يبكى لحظات وربما ساعات بطولها ، ولكنه لايلبث أن ينساه ويبدأ فى اللعب ثانية والتعرف على أناس جدد يعطونه لعب وهدايا جميلة يحبها ويتعلق بها .

فإن مقدار اهتمام الطفل بالشئ غالباً يكون أكثر من الشخص ذاته ، ولتوضيح ذلك دعنا نرى أباً يحضر لابنه يوماً

مجموعة كبيرة من اللعب والهدايا، الذى ما أن يراه حتى يندفع نحوه متعلقاً بعنقه مقبلاً له ومتمسكاً بحضنه .

أخرج الآب أول لعبة فإذا بها سيارة جميلة أخذت تجرى على الأرض وعلى الفور ترك الابن حضن أبيه وجرى خلفها ليمسكها ، لم تمض لحظات حتى أخرج الآب من لفه أكبر سيارة أجمل وأسرع من الأولى . ترك الابن السيارة الأولى وأمسك بالثانية، ثم أعطاه الأب قرداً رائعاً يعزف موسيقى، فما لبث الطفل أن ترك السيارتين وانشغل تماماً بالقرد ، وبينما عينى الطفل تتعلق شغفاً بكل تلك الأشياء من حوله كان يقول : «بأحبك يا بابا أنا بأحبك خالص خالص » ابتعد الآب عنه خارجاً من الغرفة بينما استمر الابن مردداً كلمات الحب والتعلق بأبيه غير الموجود وهو مشغول تماماً بلعبه دون أن يلحظ ذلك .

وقد كان هذا تماماً هو سلوكى مع الآب السماوى، فقد انشغلت بعطاياه الروحية والجسدية لى أكثر من الله ذاته ، وكانت الكافة الكبرى هى اعتقادى بأن حبى واهتمامى قد وجهتهما إلى الله دون منازع. تماماً كذلك الطفل الذى قال لأبيه أحبك بينما كان ينظر إلى اللعب وينشغل بها .

والله يدرك ذلك جيداً ، ومن ثم لا يسمح لأطفاله بأى مواجهة حقيقية مع العدو أو الظروف الصعبة طالما هم لا يزالون أطفال .

ولكن ماذا تظن لو أنه بعد مضى سنوات طويلة بقى ذلك

الطفل كما هو طفلاً صغيراً فى إدراكه وخبرته « لأنكم إذ كان ينبغى أن تكونوا معلمين لسبب طول الزمان تحتاجون أن يعلمكم أحد ما هى أركان بداءة أقوال الله . وصرتم محتاجين إلى اللبن لا إلى طعام قوى . لأن كل من يتناول اللبن هو عديم الخبرة فى كلام البر لأنه طفل » عب ٥:١٢ ، ١٣ لقد بقى العبرانيون أطفالاً فى الخبرة والمعرفة ، كما طالب بولس الرسول أهل كورنثوس فى رسالته الأولى إليهم بألا يكونوا أولاداً – أو أطفالاً – فى أذهانهم (١كو ١٤ :٢٠).

كما اعتبرهم مازالوا أطفالاً لأنهم جسديين ويسلكوا بحسب البشر ولذلك لم يستطع أن يعطيهم طعام البالغين (١كو ٣:١ – ٣) لما كان فيهم من حسد وخصام وانشقاق وتحزب لبولس أو لأبولس ونسوا الله الذى ينمى .

هل تتخيل مدى حزن قلب الأب السماوى على طفله الذى يصر أن يبقى طفلاً ولا يريد أن ينمو ويحقق أهداف ومخططات الله العظيمة لحياته

والمشكلة تكمن فى أنه يعتقد بنموه السليم ونضوجه المبكر، بينما فى الواقع هو قد نسى أساسيات الإيمان ولم يفهم جيداً ألف باء الحياة الجديدة.

أرجوك أن تسأل نفسك فى ضوء كلمة الله هل أنا لازلت طفلاً؟ هل أهتم أكثر بما للجسد ؟ وأتحرك لتحقيق طلباته ورغائبه؟

تأكد من أن الله لن يدفعك للنمو ولأن تكون رجلاً رغم أنفك .. وما أكثر من يريدوا أن يبقوا أطفالاً !!

وعلى الجانب الآخر إذا أردت من قلبك أن تصبح رجلاً فى يد الله وقبلته وأسلمته نفسك ليعمل فيك وينميك حسب شدة قوته ، فإننى اثق تمام الثقة بأنه لن يرخيك أو يرفع يده عنك حتى تصير رجلاً بحق .

لقد طلب الله قديماً فى أيام حزقيال من بينهم رجلاً ، إنه لم يطلب كثيرين لأنه يعرف صعوبة وجود ذلك الرجل « وطلبت من بينهم رجلاً يبنى جداراً ويقف فى الثغر أمامى » حز ٢٢ : ٣٠ ولا زال الله يطلب نفس هذا الرجل. أتكون أنت أو أنت، فى مكانك الآن وظروفك الحالية، هذا الرجل الذى يطلبه الله ليترك طفولته ويصير رجلاً ؟

ثالثا : المراهقة

يدخل الطفل فى مرحلة المراهقة دون سابق انذار ، وبغير إدراك منه تحدث له بعض التغيرات الفسيولوجية ، ويدخل فى صراع لإثبات ذاته لنفسه وللآخرين من حوله فيظهر العند والصلابة ونرى الاندفاع والتسرع الذى يصل إلى حد الطيش . وعادة ما نرى المراهق ساعياً إلى التخلص من اعتماده الكامل واتكاله على أبوه ، ويحدث ذلك بمجرد شعوره بتولد القوة والثقة بالنفس داخله ، حتى إذا طلب منه أبوه شيئاً محدداً فهو يأبى إلا أن يفعله بطريقته الخاصه هو . كما نجد بفترة المراهقة

أعمالاً عظيمة قوية جنباً إلى جنب مع السقطات والأخطاء الكبيرة أيضاً ، حيث يكون المنحنى الذى يمثل مستوى حياة المراهق شديد التذبذب، حاد النقلات .

واعتقد أن الأمر لا يحتاج إلى توضيح مدى انطباق تلك الصفات على المراهقة الروحية ، ولكن يبقى شيئاً واحداً وهو أن الله الآب يعامل ابنه بمنتهى الحرص وذلك لشدة حساسيته فى فترة المراهقة، والتى تعد مرحلة انتقالية ما بين الطفولة إلى الشباب والنضوج ، ولكنها تقترب أكثر إلى الطفولة وخاصة من حيث موقف الآب، الذى لا يسمح لابنه طفلاً كان أم مراهقاً بمواجهه الكثير من مشاكل وصعوبات الحياة.

رابعا: الشباب والرجولة : «النضوج»

ولم أضع كل منهما فى مرحلة مستقلة لأن مرحلة الشباب الطبيعى تنتهى بتكوين رجل ذو صفات معينة فى وقت معين. أما الشباب الروحى فيستمر فى تكوين الرجولة بحسب قلب الله طوال مدة حياة المؤمن على الأرض ولذلك يمكننا اعتبارها فترة واحدة تبدأ ولا تنتهى ، يسعى فيها المؤمن « إلى.. معرفة ابن الله إلى إنسان كامل . إلى قياس قامة ملء المسيح ، كى لا نكون فيما بعد أطفالاً مضطربين ومحمولين بكل ريح تعليم ، بحيلة الناس بمكر إلى مكيدة الضلال . بل صادقين فى المحبة ننمو فى كل شئ إلى ذاك الذى هو الرأس المسيح » أف ٤ : ١٣ - ١٥

تنتهى فترة المراهقة ببداية التدريب العملى والدخول الفعلى

إلى معترك الحياة حيث يبدأ نضوج الرجل ، ويضع الرسول بولس لتلك الفترة عدة أهداف تطلب معرفة ابن الله فى حياتنا معرفة حقيقية والسعى الدائم للإمتلاء بكل ملء المسيح من حيث تحقيق إرادة الله الكاملة لحياتنا .

وينفى استمرار الاضطراب والبلبلة الفكرية والتأثر بأفكار الناس المختلفة وحيلهم الماكرة التى تقود إلى الضلال وكل صفات المراهقة الطفولة .

ونلاحظ أن الشرط الوحيد أو الوسيلة الوحيدة اللازمة للنمو هى صدق المحبة . ولكن لماذا الآن تلك المحبة الصادقة لله؟

ألم نكن صادقين فى محبتنا له ونحن أطفالاً أو مراهقين ؟ بالطبع كنا نحبه ولكن اعتماداً على عطاياه الرائعة ومعاملاته الطيبة الدائمة معنا . ولكن إذ يبدأ الله يدخلنا فى مرحلة النضوج بصعوباتها وقسوتها فلن تستمر إلا المحبة الصادقة الحقيقية لشخص الله وليست لعطاياه، وهى ذلك النوع من المحبة التى يطلبها الآب السماوى منا . من كل الفكر والقلب والقدرة.

ولكننى أدركت الحقيقة أنه ليست لى هذه المحبة من نحو الله ، الأمر ببساطة أننى لا أستطيع أن أحبه هكذا!! وعندئذ أدركت الحل الموضح بكلمة الله أن ذلك النوع من المحبة هو محبة الله. إنها المحبة الصادقة التى فى قلب الله المحب وعندما يطلب منى أن أحب وأن يكون لى ذلك النوع من المحبة الصادقة

فذلك «لأن محبه الله قد انسكبت في قلوبنا بالروح القدس المعطى لنا » رو ٥ :٥ . هل يمكن أن تكون لى نفس محبة الله؟ إن صدقت ذلك الكلام فعندئذ فقط يمكنك أن ترى وتختبر محبة الله التى تقبل وتدرك عمل يده المحبة فى كل تفاصيل حياتك ، وتفيض تلك المحبة بالشكر والصبر والفرح فى حياتك لتنمو فى كل شئ إلى المسيح .

وبالرغم من أهمية المحبة كأساس للنمو ، إلا أنها لا تحتاج إلى كلام لتوضيحها ولكن إلى قلب مفتوح وفارغ أمامها لكى تملأه وتفيض فيه بروح الله . وأكرر قلب مفتوح ، أى أنك تقرر بإرادتك أن تقبل محبة الله وأنت مدرك لأبعاد ونتائج قرارك . ثم أيضاً فارغ .. أى أنك مستعد لترك والتخلى عن كل ما لا يتفق مع محبة الله الحقيقية وما يشير إليه الروح القدس بالرفض فى قلبك .

وهنا أدركت احتياجى إلى الكثير من الوقت والتأديب للتخلى عن أشياء عديدة وحتى تفتت محبة الله قلبى المصنوع من الحجارة ، الذى ظننت قبلاً أنه يستطيع أن يحب الله .

نعود للحديث عن النمو لنجد شيئاً فى غاية الأهمية وهو أنها عملية ارادية، حيث نجد الرسول بطرس يأمرهم فى رسالته «انموا (فعل أمر) فى النعمة وفى معرفة ربنا يسوع المسيح » ٢بط ٣ :١٨ . فبالرغم من أن النمو شيئاً طبيعياً لكل من له حياة والأمر الموجود ما هو إلا تعبير عن شوق وإرادة الله الآب من

جهتنا نحن أولاده إلا أن كثيرين منا يسلمون أنفسهم إلى كل ريح تعليم أو حيل ومكر الناس ، خادعين نفوسهم فيبقون أطفالاً وهم لا يدرون .

هل سبق لك أن رأيت شاباً فى العشرين من عمره أو أكثر ولكنه تأثر بشئ ما أومرض معين فى صغره فبقى بعقل وسلوك طفل فى الخامسة من عمره !!

وهل كان لك أن تدرك مدى حزن والديه عليه ، ومحاولاتهما التى لا تنتهى أملاً فى علاجه والتى تنتهى غالباً بدون فائدة تذكر

والغريب أن ذلك الشخص يعتقد أنه سليم وطبيعى تماماً ولا يقبل غير ذلك بل ربما ينظر إلى الآخرين من حوله على أنهم هم المرضى والمتخلفون عن سنهم .

أرجو من كل قلبى ألا تكون ضمن الكثيرين الذين استسلموا لأمراضهم وبقوا أطفالاً !! تتساءل ولكن كيف أعرف حالتى ؟ هل أنمو حقيقة أم إننى باق فى طفولتى ؟؟

والأمر فى غاية البساطة،ولكنه يحتاج أن تكون صادقاً . فكما أن الإنسان الطبيعى أثناء نموه يدرك أنه يحتاج إلى ذلك النمو دائماً ويسعى إليه عقلياً وبدنياً فهو يريد أن يتغير إلى الأكبر والأفضل والأكثر خبرة بينما نجد الشخص الآخر مكتفياً بما هو عليه، يفضل أن يبقى كما هو لأنه يظن أنه لا يحتاج أن ينمو فيبقى طفلاً فى كل شئ .

. هكذا نحن كأولاد لله « إن كان إنساننا الخارج يفنى . فالداخل يتجدد يوماً فيوماً » ٢ كو ٤ :١٦ . فإن كنت تفقد وتتخلى عن أشياء كثيرة إن كانت قوتك الذاتية تضعف – تفنى– فأنت فى الحقيقية تنمو لأن الداخل – الإنسان الجديد فيك – يتجدد ويقترب إلى صورة المسيح أكثر . إن كنت تدرك أنك تحتاج إلى قوة دائمة ، ترغب فى تغيير حقيقى، لا تكتفى بما أنت عليه بل تطلب مزيداً فى كل شئ روحى « تنسى ما وراء وتمتد إلى ما هو قدام ساعياً نحو الغرض» .

فأنت تنمو وتنضج ، ولا تنسى أن هذا يحدث يوماً فيوماً ، ليس يوماً واحداً يحدث فيه كل شئ ثم يقف ويثبت ، إن عملية النمو الروحى مستمرة تبدأ ولا تنتهى حيث أننا كلما عرفناه أكثر نمونا أكثر ، فنحن نتبع إله لا محدود ولا ينتهى وسنظل إلى الأبد الذى لا ينتهى نعرفه أكثر «وهذه هى الحياة الأبدية أن يعرفوك أنت الإله الحقيقى وحدك ويسوع المسيح الذى أرسلته » يو١٧ :٣ .

وتلك الفترة التى تحدث فيها عمليه النضوج المستمرة هى التى سنتعرض لها فى الصفحات التالية وذلك لأهميتها وخطورتها ، حيث يحتاج كل ابن أن يدرك ما يحدث له أثنائها ، إذ يتغير موقف الآب ومعاملته عن مرحلة الطفولة والمراهقة ويسمح لابنه بالمواقف والمعارك التى تحدث بها مواجهة صريحة مع العدو والعالم المحيط به لكى يصنع منه رجلاً حسب قلبه ولا

توجد شيخوخة روحية، لأنه يجدد مثل النسر شبابك.

إن الله يريد أن يصنع منك الإناء الذى يراه هو ، يريد أن يمسك بدفة حياة كل منا ويقودها . الأمر بسيط فلا يمكن أن يمسك شخصين بدفة قارب واحد فى ذات الوقت ، وقد كنت أنا هو الممسك بها .

أحتاج الأمر إلى الكثير من العواصف والأمواج ، واندفعت المياه تضرب قاربى بعنف وتغمره ، وبقدر ما صارعتها وتحملت مقاوماً وأنا متشبث بدفة القارب، ممسكاً بها لا أرخها بقدر ما طال الوقت وزادت العواصف ، توالت الأمواج الشرسة وكأنها تتصارع للنيل منى ليست للحظات أوساعات بل أيام قاسية وسنين مرة حتى خارت قوتى تماماً .

لم يكن العيب فى القارب، ولا البحر تغير ، وأنا لست إنساناً ضعيفاً بل قوى وعنيد جداً .

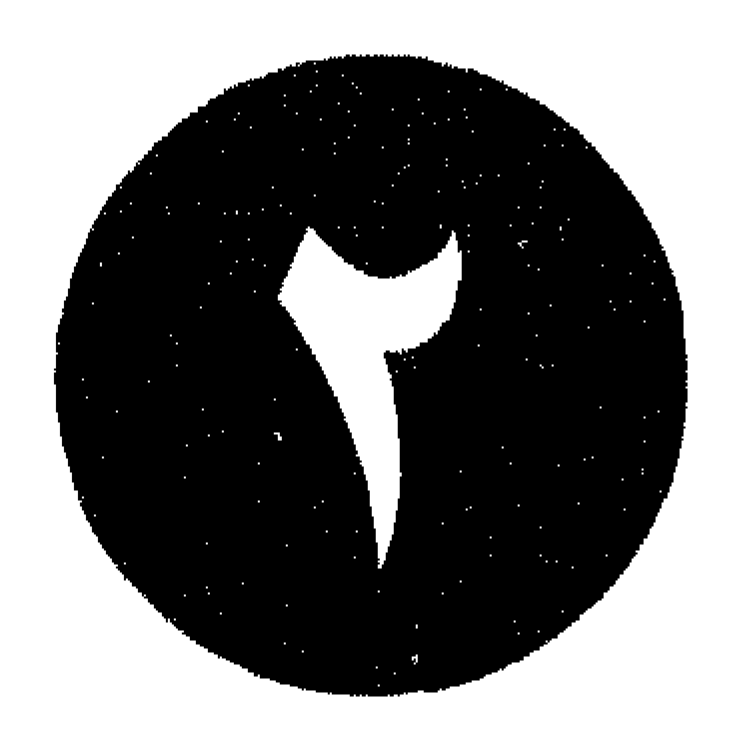
آه يالى من غبى ، فلقد أعمتنى رؤيتى لذاتى وثقتى بها وبقدرتى من أن أرى ذلك الإله العظيم المتظاهر بالنوم معى فى نفس القارب الذى يخصنى ، سقطت يدى من على الدفة وأنا استغيث به : ألن تفعل شيئاً يارب ؟! أما تبالى بى؟ لقد انتهيت !! إننى أهلك !

فى نفس اللحظة لا أعرف كيف !! تلقتنى يمناه قبل أن أهوى فى المياه الغاضبة ، بينما أطبقت يده اليسرى على الدفة مجيباً « يا بنى كم تألمت لأجلك وأنت تعانى ، لم تغفل عينى

عنك لحظة واحدة ، ولكن الأمر احتاج لكل هذا الوقت والألم والصراع حتى أصل لعمق نفسك وذاتك. استرح أنت الآن في حضني ، ودعني أقود القارب بطريقتي أنا» وما أن استرحت في حضنه وأحسست بالأمان ودفء محبته لي ، حتى لمحت أخي يصارع الأمواج الغاضبة التي تكاد تبتلعه محاولاً الوصول إلى قاربي وهو يستغيث بي ، إنه يتعذب منذ فترة طويلة دون أن أراه . نعم لقد كنت مشغولاً في صراعي مع البحر الغاضب ومحاولة التحكم في القارب وحفظه من الغرق.. أمسك يسوع بي جيداً بينما مددت له يدي لا نتشاله وانقاذه .

وإذ ذاك رفعت بصري لأرى الكثيرين غيره تتقاذفهم الأمواج وتغمرهم المياه بشدة وهم لايرون حتى القارب الذي يحملني ، التفت إلى يسوع الذي يضمني بحب وحنان لأرى الدموع تترقرق وتسيل من عينيه وهو ينظر إليّ قائلاً : « ألن تفعل لهم شيئاً؟ أما تبالي بهم؟»

نعم يا سيدي الحبيب... لقد بدأت أفهم الآن لماذا كان كل هذا الصراع المؤلم والتعب وربما الفشل .. إذ لم يكن هناك أسلوباً آخراً أو وسيلة غيره تجعلني أتخلى عن الدفة.. أو بكامل إرادتي وبحرية كاملة أترك لك أنت ياربي حق قيادة حياتي بكل تفاصيلها .. وفقط عند ذلك بدأت عيناي تنفتحان على مخططك الرائع لحياتي .. وبعض الغرض من وجودي هنا. والآن...!!



هل لابد من الألم؟
ألا توجد طريقة أخرى؟

لم تقاوموا بعد حتى الدم مجاهدين ضد الخطية . وقد نسيتم الوعظ الذى يخاطبكم كبنين. يا ابنى لا تحتقر تأديب الرب ولا تخر إذا وبخك . لأن الذى يحبه الرب يؤدبه ، ويجلد كل ابن يقبله . إن كنتم تحتملون التأديب يعاملكم الله كالبنين فأى ابن لا يؤدبه أبوه ؟ ولكن إن كنتم بلا تأديب قد صار الجميع شركاء فيه فأنتم نغول لابنون . ثم قد كان لنا آباء أجسادنا مؤدبين وكنا نهابهم . أفلا نخضع بالأولى جداً لأبى الأرواح فنحيا !! لأن أولئك أدبونا أياماً قليلة حسب استحسانهم . وأما هذا فلأجل المنفعة لكى نشترك فى قداسته . ولكن كل تأديب فى الحاضر لا يُرى أنه للفرح بل للحزن . وأما أخيراً فيعطى الذين يتدربون به ثمر بر للسلام »عب ١٢:٤ - ١١

«لأنه قد وهب لكم لأجل المسيح لا أن تؤمنوا به فقط بل أيضاً أن تتألموا لأجله » فى ١ :٢٩

«وجميع الذين يريدون أن يعيشوا بالتقوى فى المسيح يسوع

يضطهدون » ٢ تى ٣ :١٢

«حينئذ قال يسوع لتلاميذه إن أراد أحد أن يأتى ورائى فلينكر نفسه ويحمل صليبه ويتبعنى . فإن من أراد أن يخلص نفسه يهلكها !! ومن يهلك نفسه من أجلى يجدها!!» مت ١٦ :٢٤ - ٢٥ .

واحداً من كبار سادة المال ومالك لواحد من أضخم مصانع السيارات في العالم كان له ابناً فى حوالى العشرين من عمره . وكان ذلك الابن مستهتراً بكل شئ ولا يمكن الوثوق به للقيام بأى عمل هام .

أخذ الرجل يتقدم فى السن ، وبدأ يطلب من هذا الابن أن يرافقه فى إداره المصنع ويتعلم منه حتى يتمكن فيما بعد من الاعتماد على نفسه وادارته بمفرده بعد رحيل الأب. وذهبت كل محاولاته مع ذلك الابن المستهتر العاصى أدراج الرياح . إذ استمر فى لامبالاته واستهتاره واثقاً فى أنه يستطيع فعل أى شئ والقيام بأصعب الأعمال وتتميمها بنجاح عندما يريد هو ذلك

علم الأب ذات يوم بقدوم صفقة كبيرة وهامة لمصنعه ، وبدلاً من بقائه لإتمامها سافر خارج البلاد لأمر هام مجهول تاركاً المسئولية الكاملة لابنه ، الذى ما أن بدأ فى إدارة هذا الصفقه الصعبة حتى لاحقه الفشل وتبعته الخسارة . سارع الابن فى الإتصال بأبيه طالباً سرعة عودته لإنقاذ ما يمكن إنقاذه !! لكن الآب لم يستجب ولم يأت حتى قضى الأمر تماماً .

وانتهت العملية بخسارة غير قليلة فى المصنع وأيضاً فى نفس الابن وأحساسيه الذى حزن جداً وعاتب أبوه بشدة. . لماذا تركتنى أهزم ؟ لماذا تخليت عنى ؟ أهذه هى أبوتك ؟ وتلك محبة قلبك من نحوى ؟ أتبعد عنى حينما أتألم وتضعف قوتى؟ أليس هذا مصنعك وأنا ابنك وتلك الخسارة موجهة إليك شخصياً؟

ترك الابن أباه والمصنع تماماً وابتعد حزيناً ، ولم تمض أسابيع قليلة حتى بلغه خبر وفاة أبيه، إذ كان مريضاً وآل المصنع وكل شئ له .

ولدهشته هو والكثيرين من حوله أثبت نجاحاً فائقاً وحنكة صائبة فى قيادته لمصنع أبيه . عندئذ فقط أدرك لماذا تركه أبوه يخسر ويتألم وامتلأ قلبه بالشكر للآب الحكيم المحب ، ووهب ذلك الابن الذى كان يوماً مستهتراً كل حياته من أجل نجاح ذلك المصنع الذى يخص أباه.

ربما إتضح لنا من تلك القصة كيف يمكن أن يؤدب الآب السماوى ابنه الذى يحبه وكيف يسمح له بجلدات الآلام المختلفة، وهو لا يفعل هذا كله إلا لتحقيق أهداف فى غاية الأهمية فى حياته الابن وتكوينه، ربما يعيد تشكيله من جديد حسب إرادته الصالحة والتشكيل لا يتم إلا من خلال القهر والضغط والطرق .

أولا : التأديب لأجل المنفعه لكي نشترك في قداسته :

وقداسه الله هنا لا تعنى فقط أنه كامل النقاء والصلاح ولكن بالأهم تعنى الخصوصية، فالمقدس هو المخصص . إن إلهنا الكامل هو كامل التخصيص لذاته ، أى ليس لأى شئ أو شخص مهما كان تأثير عليه أو سلطة لتوجيهه أو امالته، فهو مطلق الإرادة وكامل السلطان . وأن نشترك فى قداسته فذلك يعنى أن نتخصص بالكامل له وهو لنا ، نكون نحن خاصته القريبة جداً إلى قلبه ويصير هو كل شئ فى حياتنا .. حينئذ ندرك ما كان يعنيه آساف حينما قال « من لى فى السماء . ومعك لا أريد شيئاً فى الأرض » مز ٧٣ :٢٥

وبالرغم من أن ذلك التأديب يسبب لنا الحزن وهذا طبيعى فلا ينتظر من الألم إلا أن يؤلم ، وكم تألمنا بسبب أشياء أو أشخاص كنا نثق بهم ، أو مواقف كنا نستريح لها ونفضلها ، بل ونصدم أيضاً فى آمالنا ونخفق فى تحقيق أحلامنا ، عندئذ فقط وليس قبل ذلك سنتوجه بكل ما بقى لنا إلى الله وبره وينتج الثمر ثمر البر الحقيقى الذى يطلبه الإله السماوى فى حياة كل ابن له.

ثانيا : لأن الألم يخرج يسوع المحبوس داخلنا ويظهره للآخرين:

« ولكن لنا هذا الكنز (يسوع المسيح بكل محبة قلبه وصفاته وقدراته العظيمة) فى أوان خزفية (نفوسنا وأجسادنا

الضعيفة)ليكون فضل القوة لله لا منا (ولأن هذا الأناء لابد أن يتهشم ويتفتت ثم يُشكل من جديد بطريقه إلهية حتى يظهر الكنز بكامله للجميع ، لذلك ترونا) مكتئبين في كل شئ لكن غير متضايقين . متحيرين لكن غير يائسين . مضطهدين لكن غير متروكين . مطروحين لك غير هالكين . حاملين في الجسد كل حين إماته الرب يسوع لكي تظهر حياة يسوع أيضاً في جسدنا . لأننا نحن الأحياء نسلم دائماً للموت من أجل يسوع لكي تظهر حياة يسوع أيضا في جسدنا المائت . إذا الموت (الألم والضيق والفناء) يعمل فينا ، ولكن الحياة (حياة وقوة يسوع التي تظهر فينا عندما نتألم هي تعمل وتثمر) فيكم » ٢ كو٤ :٧-١٢ .

هل عرفت ما هو معنى الاكتئاب والحيرة؟ هل ذقت الاضطهاد بأي نوع من أنواعه جسدى كان أم نفسى ، وأحسست أنك طرحت ؟

هل تدرك أن ذلك هو الطريق الوحيد لكي تظهر حياة يسوع فيك !! ولا تعجب لذلك . أليست البذره للناظرين وكأنها ماتت بينما تكون الحياة عاملة فيها بكل قوه لتنبت وتخرج مع الأيام شجرة كبيرة وارفة الظلال تعطي ثمراً متكاثراً .

هل سمعت الرسول بولس وهو يطلب من أجل شوكته «من جهة هذا تضرعت إلى الرب ثلاث مرات أن يفارقني . فقال لي : تكفيك نعمتي لأن قوتي في الضعف تكمل . فبكل سرور

أفتخر بالحرى فى ضعفاتى لكى تحل عليّ قوة المسيح . لذلك أسر بالضعفات والشتائم . والضرورات والاضطهادات والضيقات لأجل المسيح لأنى حينما أنا ضعيف فحينئذ أنا قوى »
٢كو١٢: ٨ - ١٠

يمكننا أن نرى كيف يذكر الرسول بولس آلامه فى رسالته الثانية إلى أهل كورنثوس لأنهم قد تشككوا فى رسوليته ونجح بعض المضلين فى إقناعهم بالبعد عنه ورفضه هو وتعاليمه وخاصة فى الإصحاحين الحادى والثانى عشر منها « وأما أنا فبكل سرور أنفق وأُنفق لأجل أنفسكم وإن كنت كلما أحبكم أكثر أحب أقل . فليكن » ٢كو ١٢ :١٥

لقد تحول ذلك الرجل من مصدر إيلام وايذاء للكنيسة ولكل أتباع يسوع قبل مقابلته الشخصية بالرب المبارك إلى بوتقة ألم، استطاع الله أن يُخرج منها أعظم ما قدمه لنا من تعليم وفكر سلوك ، حتى ظن بعضهم أن المسيحية هى من عمل بولس الرسول ، ذاك الذى قال عنه الله لحنانيا «اذهب لأن هذا لى أناء مختار ليحمل اسمى أمام أمم وملوك وبنى إسرائيل لأنى سأريه كم ينبغى أن يتألم من أجل اسمى » أع ٩ :١٥ - ١٦

تقول أنا لست بولس الرسول ولن أكونه أبداً فإننى أصغر منه بكثير ، نعم نحن جميعاً أصغر من بولس الرسول وبالتأكيد لن يسمح لنا الآب السماوى بمثلما سمح له من آلام ، ولكن الله سمح لقاربى أن يتخبط وسط أمواج البحر العاتية .

نعم لقد تألمت قليلاً فتذمرت وعاندت يد الله وصوته لي ولكن عندما أشتد الألم بدأت أذوب وحينذاك فقط بدأ يظهر يسوع وصرت اختبر قوته في حياتي ، لم يتغير تأثير الألم فهو يؤلم وإلا لم يكن ألماً ، ولكنني صرت كلما تألمت أكثر كلما سلمت أعماقاً أكبر في داخلي للروح القدس ليملأها ويعمل خلالها ، نعم أستطيع أن أقولها وإن كان صوتي خافتاً « مرحباً بالألم » .

أخي الحبيب أنا لست متشائماً، بل تلك هي الحقيقة الرائعة وليست المرة، فالرب يسوع الذي نادى قائلاً « تعالوا إليّ ياجميع المتعبين والثقيلي الأحمال وأنا أريحكم» مت ١١: ٢٨ . هو نفسه الذي قال بمنتهى الصراحة «ما أضيق الباب وأكرب الطريق الذي يؤدي إلى الحياة وقليلون هم الذين يجدونه» مت ٧: ١٤ .

وإنني أكرر وأؤكد لك ذلك الأمر لأن قبول الألم من يد الرب هو أول وأهم خطوات النضوج والتغيير . إذ أنك تقبل أن يشكلك الرب كما يرى هو وليس كما تريد أنت ، وحينذاك تسقط يدك من على الدفة .

وبالتأكيد ليس الحديث هنا عن ذلك النوع من الألم نتيجة مخالفة القوانين (وهنا يجدر بنا توضيح أنني عندما أتألم أو أعاقب بسبب كذب أو تزوير أو تهرب من دفع ما عليّ من ضرائب أو تكاليف ، أو اعتداء على شخص آخر .. أي باختصار أن العقوبة الناتجة عن مخالفة القوانين الإنسانية والطبيعية، لا تميز

بشئ أولاد الله ولا تعتبر جزء بناء أو مثمر فى عملية النضوج .. ولكنها ضرورية لتوضيح أننا أول من يجب علينا السلوك بصدق وأمانة واحترام في المجتمع .. يجب علينا أن نفرق جيداً بين التألم بسبب فعل الخير وطاعتنا لله ، والألم الذى نجنيه بسبب تعدينا للقوانين). «لأنه أى مجد هو إن كنتم تلطمون مخطئين فتصبرون بل إن كنتم تتألمون عاملين الخير فتصبرون فهذا فضل من عند الله . لأنكم لهذا دعيتم . فإن المسيح أيضاً تألم لأجلنا تاركاً لنا مثالاً لكى تتبعوا خطواته » ١بط ٢ :٢٠ – ٢١

ثالثا : بحسب ولأجل الخطية

«لم تقاوموا بعد حتى الدم مجاهدين ضد الخطية» عب ١٢ :٤ . لست اعتقد بأن هناك من يصاب بجرح وينزف دماً دون أن يتألم !! فالله يسمح لنا أحياناً أن نُهزم تماماً أمام الخطية، بينما نحن نحاول أن نحسن ونرتقى بنفوسنا ظانين أن لنا القدرة – فى ذاتنا – إذا حاولنا أن ننتصر على الخطية حتى نكتشف ما قاله بولس الرسول « فإن كنت مالست أريده إياه أفعل فلست بعد أفعله أنا بل الخطية الساكنة فيّ » رو ٧ :٢٠ وعندئذ فقط نستطيع أن نفهم رومية ٨ وكيفية السلوك بالروح . لم أقبل أن يقود روح الله حياتى إلا عندما أدركت أننى كنت منقاداً قبلاً للخطية الساكنة فيّ ، رغم أننى قاومتها دون جدوى لأنها تعمل وتستمر قوتها من خلال جسدى وغرائزى .

لقد كنت عبداً قبلاً لقيادة الخطية أصرخ تحت وطأة

سلطانها عليّ وأدركت أن معنى الحرية الوحيد والحقيقى هو فى قيادة روح الله لى.

أخى الحبيب لا تستهن بقوة الخطية وتأثيرها القاتل الفتاك فى حياتى وحياتك وأنا لا أعنى فقط الخطايا الكبيرة أوالظاهرة من وجهة نظر الآخرين .. بل أيضا الخطايا أو الضعفات التى لا تستطيع الانتصار عليها انتصاراً حقيقياً ... ربما عدم القدرة على الغفران .. أو التسرع فى الكلام بغضب.. أفكار غير نقية ونجسة.. أو الكسل . أو النقد والرفض المستمر والدائم ربما فكر حسد ، أو اشتهاء ما للغير... أنت تعرف ما فى داخل قلبك وما يؤرق حياتك . إن المشكلة التى أرقتنى كثيراً هى أننى عندما تعرضت للحرب الفعلية ووجهت الخطية سهامها نحوى. حاولت أن أصمد، قاومت دون فائدة، وجدتنى مهزوماً شر هزيمة ، فحاولت مرة ثانية وثالثة .. وكثيراً جداً إلى أن اكتشفت أننى لا أستطيع أن انتصر أبداً . وجدت أننى أسر بناموس الله بحسب الإنسان الباطن . ولكنى أرى ناموساً آخر فى أعضائى !! فصرخت مع بولس الرسول « ويحى أنا الإنسان الشقى من ينقذنى من جسد هذا الموت ؟»

أخى الحبيب هل تعيش ذلك الشقاء الذى عاشه بولس الرسول وصرخ فيه طالباً النجدة فى الأصحاح السابع من رومية، حتى أعتقد البعض أنه قال ذلك قبل إيمانه أو خلال فترة ضعف روحى ولكن ذلك أبعد ما يكون عن الحقيقة. لقد أتى ذلك بكل

وضـوح بعد الفداء وقبول الغفران والخلاص بالإيمان مجاناً بالنعمة (روميه ٣ ، ٤) وتأكيد وتوضيح نتيجة سقوط آدم الأول على كل الجنس البشرى وبر آدم الآخر أى المسيح لكلّ من يؤمن (رومية ٥) ورسالة رومية تعتبر من أروع ماكتب من حيث التسلسل والبناء الفكرى المتتابع المبنى على التحليل والإثبات بالحجة والبرهان فلايحتمل حتى منطقياً أن يكون هناك مثل ذلك الخطأ فى الترتيب الفكرى فى رساله رومية .

فقد كان بولس الرسول يعلن بعداً جديداً عميقاً وهاماً فى حياته الروحية ومن خلال ذلك الصراع الذى عاشه وتألم فيه وملأه احساساً بالشقاء ، وغمرته فيه التعاسة ، اكتشف مدى فساد الجسد وتأثير قوة الخطية عليه حتى شوهت كل غرائزه الطبيعية لتصير شهوات فاسدة تتسلط على الإنسان .

فالجوع يمكن أن يتحول إلى شراهة ونهم وانشغال بما يمكن أن يضيف جديداً ،ملذاً إلى كل ما يدخل جوف الإنسان. ويصير الإنسان ممن يذكر عنهم الكتاب أن إلههم بطنهم . والغضب الطبيعي يمكن أن يتحول إلى رغبة فى الايذاء والانتقام إلى غلّ قاتل لا يهدأ إلا بإيقاع الشر بالآخرين ورؤيتهم يتألمون

والجنس يتحول من ارتباط جسدى سامي ونفسي عميق ، وتعبير قوى عن الحب بين الزوجين ، والطريق الذى وضعه الله لبقاء الإنسان وانتشاره ، ليصير رغبة عارمة للتمتع بلذة جسدية وقتية بعيدة تماماً عن الحب والشركة العميقة بين الطرفين

تملأكيان الإنسان وتسيطر على فكره وسلوكه بل وتقوده أحياناً إلى أحط أنواع الشذوذ والنجاسة هل تعرف أن الغرائز الفاسدة وقوة الخطية لا تختلف بين إنسان مؤمن أو خاطئ ، إنها لم تنته وتزول بقبولنا المسيح كمخلص شخصي لحياتنا ، ولكن الله أعطانا طبيعة وقوة جديدة مضادة ، إنها قوة روح الحياة في المسيح يسوع .

فياله من موقف عجيب للرسول بولس عندما يقول: « أشكر الله يسوع المسيح ربنا . إذا أنا نفسي بذهني أخدم ناموس الله ولكن بالجسد ناموس الخطية » رو ٧:٢٥ فهل تشكر الله يابولس من أجل اصابتك بانفصام في الشخصية ؟! بذهنك وإدراكك تتبع الله وجسدك يتبع الخطية في نفس الوقت ؟كيف يكون هذا؟

دعني أوضح ذلك الأمر بمثل بسيط قرأته في كتاب رائع خاص بشرح وتوضيح هذا الموضوع المذكور في رساله رومية ٦ ، ٧ ، ٨ « لا أنا بل المسيح » للكاتب الصيني واتشمان ني الذي يقول فيه: « كل شيء نتركه في الفراغ يسقط فوراً إلى الأرض بقوه الجاذبية الأرضية، فلا يمكن أن تترك قطعة من الحديد حرة أو حتى منديلاً رقيقاً من يدك إلا وتجده يندفع ساقطاً لأسفل دون تردد. إنه قانون « قوة ناموس » الجاذبية .

ولكنك عندما تمد يدك لأسفل وترفع ذلك المنديل عالياً ، فأنت هنا لم توقف عمل الجاذبية وتأثيرها على المنديل ، ولكن

قوة حركة يدك المؤثرة على المنديل لأعلى أكبر من قوة الجاذبية المؤثرة فى نفس الوقت وعلى نفس المنديل لأسفل .. لذلك يرتفع المنديل مع يدك لأعلى .

لذلك يكمل الرسول بولس موضحاً موقفه بقوله « إذاً لا شئ من الدينونة الآن على الذين هم فى المسيح يسوع السالكين ليس حسب الجسد بل حسب الروح » (ليفرح قلبك المهزوم كما امتلأ قلبى سروراً إذ أدركت مع الرسول بولس أن السلوك بالروح هو الاستسلام ليد الله العاملة فينا بالروح القدس لترفعنا عالياً ضد قوة جاذبية الخطية) لأن ناموس روح الحياة فى المسيح يسوع قد أعتقنى من ناموس الخطيه والموت » رو ٨:١ - ٢ .

وعليك أن تصدق ذلك وتحيا متمسكاً به يوماً فيوماً تاركاً قوة الخطية بلا تأثير فى حياتك هنا على الأرض .

دعنا نتخيل نسراً وكلباً قد ربُطا جيداً معاً وأنت قد خصصت يومياً كيلو واحد من اللحم يجب أن تعطيه لأحدهما دون الآخر ، فإن أعطيته للكلب انتعش وتقوى وأخذ يجرى ويقفز هنا وهناك وهو يجر النسر ويجرجه على الأرض والصخور من خلفه .

أما إن أعطيته للنسر تجده يفرد جناحيه بعيداً ويطير محلقاً ف أعالى السماء رافعاً الكلب معه .

فالنسر يمثل السلوك بالروح وليس الكلب إلا أعمال الجسد وسلوكه. فالأمر حقيقة يتوقف عليك. لمن تعطى اللحم؟ أين

توجه اهتماماتك ؟ وأوقاتك ؟ ماذا تفعل كل يوم ؟ وما هو نصيب النسر عندك ؟ « لأنه إن عشتم حسب الجسد فستموتون (يحزن روح الله داخلكم ويتجرح النسر وتصيروا إلى حالة موت أى انفصال روحى عن الله) ولكن إن كنتم بالروح تميتون أعمال الجسد (يفقد الكلب كل قدرة على الحركة والجرى على الأرض) فستحيون » رو ٨: ١٣

والعجب حقاً أننا جميعاً ، بل وحتى الرسول بولس أيضاً قد حاولنا كثيراً أن نقنع الكلب بأن يطير عالياً ونحن نعطيه كيلو اللحم كل يوم !! ونسينا أو تناسينا أن التحليق عالياً هو من عمل النسر وطبيعته .

للأسف حاولت كثيراً أن أنقى اهتمامات الجسد وتألمت روحياً لذلك، إلى أن أدركت ذلك المعنى البسيط «لأن اهتمام الجسد هو موت ولكن اهتمام الروح هو حياة وسلام. لأن اهتمام الجسد هو عداوة لله إذ ليس هو خاضعاً لناموس الله لأنه أيضاً لا يستطيع » رو ٨: ٦ - ٧

أرجو أيها الحبيب أن يكون روح الله قد أوضح لك ذلك الأمر فتكف عن محاولة تنقية الجسد واهتماماته ، وتدرك أن الكلب لا يمكن أن يطير أبداً .

سلم اهتماماتك وأوقاتك وأفكارك لروح الله ببساطة، فيقودك « لأن كل الذين ينقادون بروح الله فأولئك هم أبناء الله» رو٨: ١٤ . وهنا يجدر بنا توضيح دور وعمل الإرادة فى هذا

الحزن ، فإن روح الله لن يستخدم وقتك وأفكارك وقدراتك رغماً عنك .. هو لن يقودك إن لم ترد أنت ذلك أولاً.. وعندما تريد حقاً فالتنفيذ ليس غريباً عن أى منا، فهو وقت محدد كل يوم لعلاقتى بالله بقراءة الكتاب المقدس والصلاة .. علاقة متينة وشركة بجماعة المؤمنين فى الاجتماعات والخدمة وأمور الحياة الأخرى وفوق ذلك كله استعداد لطاعة كل أوامر القائد.. حتى وإن كنت لا أفهم بعضها أو لا أميل الآن لتنفيذها ، وذلك فقط لأنك تريد وتحب طاعته . ومتى جعلت النسر يطير رافعاً الكلب إلى السماء عندئذ فقط تدرك لماذا كنت تتألم!!

وعندما تتحقق النصرة على قوة الخطية داخلك يمكنك أن تقاومها وتحاربها حتى الدم فى الآخرين الواقعين فى سلطانها من حولك .

رابعا: ينشئ صبرا

« احسبوه كل فرح يا إخوتى حينما تقعون فى تجارب متنوعة . عالمين أن امتحان إيمانكم (من خلال الآلام والصعوبات) ينشئ صبراً وأما الصبر فليكن له عمل تام لكى تكونوا تامين وكاملين غير ناقصين فى شئ » يع ١ :٢ - ٤

ربما استطعت أن تواجه الكثير من الشدائد وتتحمل المصاعب والظروف المختلفة ولكن هل تستطيع أن تصبر للرب ؟ كما قال النبى داود « انتظر الرب واصبر له » مز ٣٧ :٧

إن ذلك النوع من الصبر حقيقة هو التخلى التام عن فكرك

الشخصى وطبيعتك التى تعودت أن تسعى لحل فورى وسريع فى كل المواقف ، وما أكثر الطرق والوسائل التى يمكننا استخدامها، وما أن نفشل فى إحداها حتى نبدأ بأخرى ، إلى أن نصل إلى نهايه ذلك الموقف أو هذا الأمر. أيا كانت نجاحاً أم فشلاً ؟ لايهم ذلك بقدر كوننا لا نتخلى عن محاولاتنا أو نصبر فى أى مرحلة من مراحله المتتالية إلا عندما نعرف تماماً ما يحدث بها . ولماذا . وما هى نهاية الأمر؟

كنت أسأل الرب قائلاً : وضح لى ما تفعل وما هى نهاية المشكلة أو الأمر وأين إرادتك فيه فأقبله وأصبر دون تدخل أو استعجال من جانبى؟

ولكننى اكتشفت أن ليس هذا هو الصبر له ، وإنما انتظار لحدوث شئ معين ، بينما الله يريد أن يعملنا انتظار شخص وليس شئ .. « انتظر الرب » وليس « انتظر فعل الرب» وانتظار الرب يعنى قبول الأسلوب والنهاية التى يختارها هو - لست أنا - فى الوقت الذى يراه هو مناسباً - لست أنا أيضاً - وعندئذ يكون ذلك هو الصبر له.

وقد تقول إن هذا استسلام للواقع الحادث !! وهو حقاً استسلام ولكن هناك فرق بين الاستسلام للواقع أو للرب فإن كلمة استسلام ترتبط فى أذهاننا بالعدو .. بالذل والمهانه .

فما أن يستسلم الجندى فى الحرب إلا وينتزع منه كل شئ ويصير تحت سلطان عدوه الذى يريد الانتقام منه وإيلامه . وأيضاً

الاستسلام للواقع تعبير يرتبط فى أذهاننا بالشخص السلبى الذى يقف دون أى رد فعل منه فى مواجهة المصائب والكوارث التى تحل به .

أما إلهنا المبارك المحب فهو يطلب الاستسلام لمحبته وحنانه . لإرادته الصالحه التى تمثل أفضل وأجمل ما يمكن أن يكون لحياتنا . حتى لو كانت فى بعض الأحيان تبدو عكس ذلك !!

« فالذى لم يشفق على ابنه بل بذله لأجلنا أجمعين . كيف لا يهبنا أيضاً معه كل شئ » رو ٨:٢٢

ولكن صعوبه الأمر تكمن فى أننا نستسلم للخير والصالح من يد الله فقط أو بمعنى أدق نأخذ منه ما يتوافق فقط مع إرادتنا أى ما نراه نحن حسب إدراكنا صالحاً وخيراً لنا . وهذا بالتأكيد يختلف فى كثير من الأحيان عما يراه الله لنا وفكره من جهتنا لأنه « كما علت السماء على الأرض هكذا علت طرقه عن طرقنا وأفكاره عن أفكارنا »

فنحن غالباً ما ننظر إلى ما هو أمام أقدامنا فقط لخطوات قليلة قادمة ، وما أقصر رؤيتنا للأمور !! بينما الله ينظر من أعلى من السماء ، إنه يرى كل شئ. ما يحدث لنا الآن وما سيحدث أيضا بعد سنوات طويلة . من نحبهم الآن ، ومن سنتركهم ، ومن سيتخلون عنا ، ومن سنتعلق بهم فيما بعد ؟ إنه يخطط كل شئ كأفضل ما يمكن أن يكون لنا نحن أبناءه الأحباء ، ولذلك فهو يسمح لنا ببعض التجارب ، « الضيق الذى ينشئ

صبراً » رو ٥ :٣ حتى نستسلم ونصبر له .

والعجيب حقاً هو أننا نتألم حتى نتخلى عما يسبب لنا الضرر ونقبل ما هو خيرنا والأفضل لحياتنا !!

ولكن الأمر بسيط جداً فالإنسان يمكنه أن يستسلم جزئياً ولحدود معنية لمن يحبه جداً ويثق فى محبته ولكنه لا يستسلم كلية لآخر إلا إذا تعرض لضغط وهجوم أقوى بكثير منه ، وهذا بالضبط هو ما يفعله الله فى بعض الأحيان معنا !!

«إن كان أحدكم تعوزه حكمة فليطلب من الله الذى يعطى الجميع بسخاء ولا يعيّر فسيعطى له . ولكن ليطلب بإيمان غير مرتاب البته لأن المرتاب يشبه موجاً من البحر تخبطه الريح وتدفعه . فلا يظن ذلك الإنسان أنه ينال شيئاً من عند الرب » يع١ :٥ – ٧

تناولنا فيما سبق أربعة أسباب واتجاهات هامة للآلام والضيقات فى حياة المؤمن اللازمة لنضوجه وتكوين رجولته الروحية .

بقى أخيراً توضيح شيئاً فى غاية الأهمية وهو أنه « لم تصبكم تجربة إلا بشرية . ولكن الله أمين الذى لا يدعكم تجربون فوق ما تستطيعون بل سيجعل مع التجربة أيضا المنفذ لتستطيعوا أن تحتملوا » ١كو ١٠ :١٣

تأكد أن ذلك الإله الأمين يعرف جيداً حجم التجربة الواقعة

عليك ويقدر حدود إمكانياتك على التحمل . إن الرب يسوع هو أكثر من يحس بآلامك وهو أفضل معين لك « لأنه فيما هو قد تألم مجرباً يقدر أن يعين المجربين » عب ٢ : ١٨ . لقد كانت آلامه ومعاناته حقيقية وليست كلاماً وتجرب كثيراً لذلك فهو يقدر ضعفنا جيداً « لأن ليس لنا رئيس كهنة غير قادر أن يرثى لضعفاتنا بل مجرب فى كل شئ مثلنا بلا خطية » عب ٤ :١٥

فنحن نتأدب ونجوز فى الألم لأننا ولدنا من الله وصرنا أبناءه بالتبنى وينبغى أن نتعلم الطاعة ، أما يسوع « فمع كونه ابناً (بالطبيعة) تعلّم الطاعة مما تألم به » عب ٥ :٨

« فتفكروا فى الذى احتمل من الخطاة مقاومة لنفسه مثل هذه لئلا تكلوا وتخوروا فى نفوسكم » عب ١٢ :٣

إنك بالتأكيد عندما تريد الحصول على شئ معين فإنك تسعى إليه وبقدر أهميته لديك فأنت تدفع فيه ثمناً أكبر أو تقاسى فى سبيل الحصول عليه وتكون فى تمام الرضى لأنك سوف تحصل مقابل ذلك على ما تريده . كذلك أيضا عندما تحب شخص ما فأنت تفرح وتسر بأن تعطى وتتعب لأجل من تحبه نفسك ، لقد نويت على ذلك فأنت تقبله بسرور ولم يجبرك أحد عليه .

وهكذا يطلب الله المحب من الذين يحبونه ويرغبون فى فعل إرادته أن يتسلحوا بنيه الألم وبفكر الطاعة « فليكن فيكم هذا الفكر الذى فى المسيح يسوع أيضاً الذى إذ كان فى صورة الله.

أخلى نفسه .. وضع نفسه وأطاع حتى الموت موت الصليب »
فى ٢ :٥٤ – ٨

«فإذا قد تألم المسيح لأجلنا بالجسد تسلحوا أنتم أيضا بهذه النيه » ١بط ٤ :١ . إنه دفع حياته لأجلنا .. بينما لا نزال نحن نحب حياتنا ، لذلك نهزم من عدو الخير عندما نتألم ، يقول الكتاب « وهم غلبوه بدم الخروف وبكلمه شهادتهم ولم يحبوا حياتهم حتى الموت » رؤ ١٢ :١١ . نعم فإن الشيطان يعجز عن أن يتغلب على أولئك الذين لا يحبون حياتهم حتى الموت .

هناك حد لآلامنا لكن لا يجب أن يكون هناك حداً لرغبتنا فى احتمال الألم لأجل الرب ! لأننا لو جعلنا حداً معيناً لهذه الرغبة فإن الشيطان سينجح إن آجلاً أو عاجلاً فى أبعادنا عن تحمل المسئولية .

كانت الطفلة ذات الثمانى سنوات تتألم ويقشعر بدنها الصغير كلما لمستها أمها بيديها المشوهتين وقد تصلبت بعض أجزاؤهما كالحجارة .

كان منظرهما بشع مخيف حتى لم تكن الطفله الصغيرة لتنظر إليهما إلا باشمئزاز ونفور، وترفض بإباء أن تمسك بيد أمها أينما سارا .

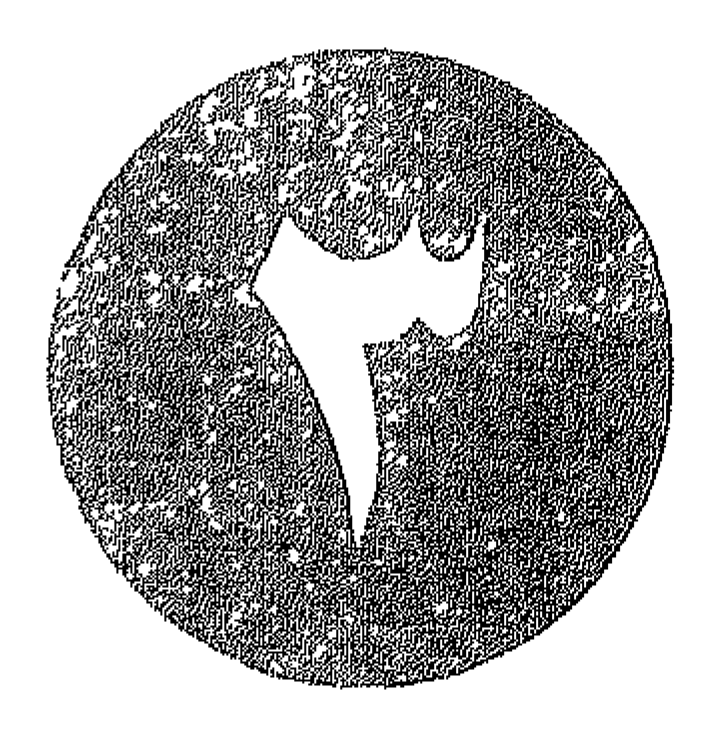
وذات صباح بينما كانت الأم تربت كتف ابنتها برفق وحنان لايقاظها هبت صارخة «ارفعى يدك عنى !! فإننى لا احتملها. لا تلمسينى من الآن أبداً » .

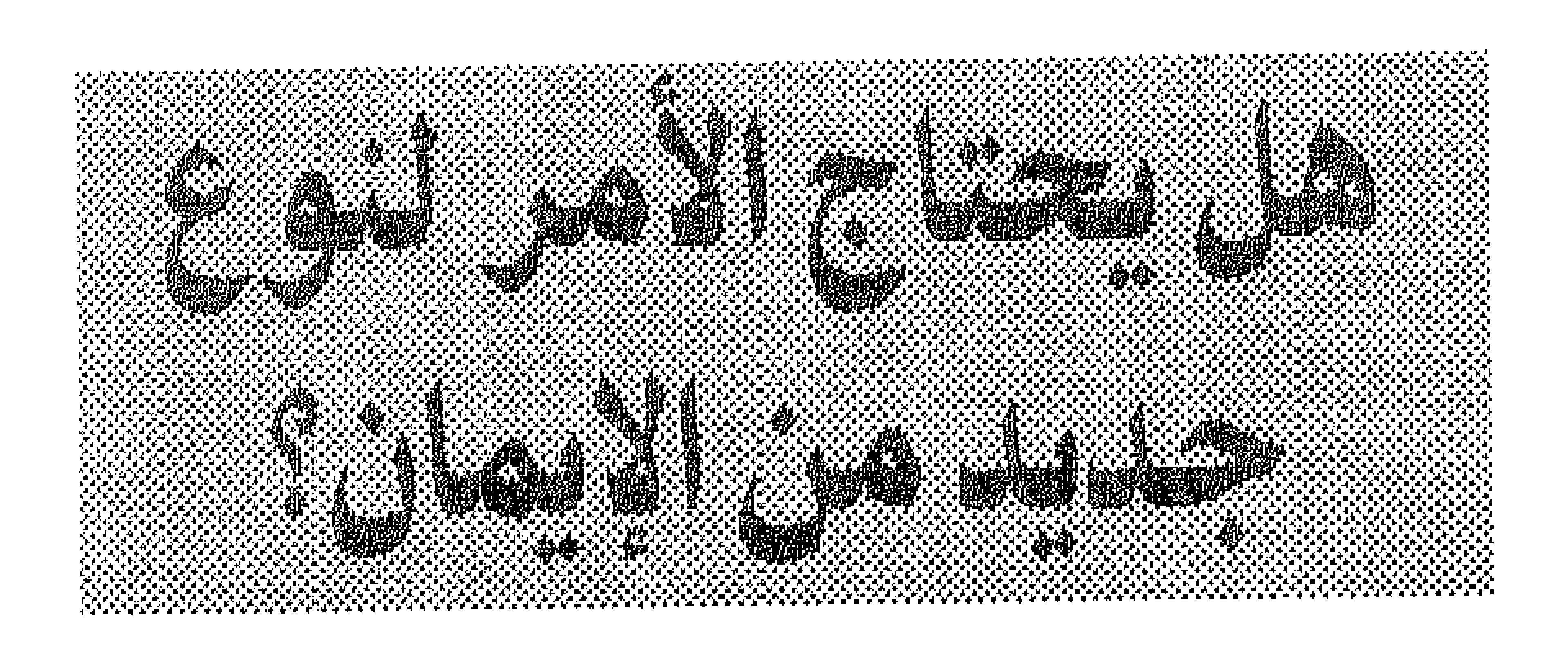
ابتعدت الألم والحزن يملأها ، امتزجت كلماتها بدموعها الغزيرة وهى تقص لابنتها العزيزة « ذات مساء بينما كنت فى شهورك الأولى بعد ولادتك أيتها الحبيبة ، أمسكت النيران بفراشك وبدأت تدنو منك ، وما أن دخلت ورأيت النيران تحيطك وتكاد تصل إليك حتى ارتميت عليك كالمجنونة وصرت أطفئ النيران من حولك بيدى العاريتين حتى تمكنت أخيراً أن أخرج بك حية « سيلمة» تماماً وبهاتين اليدين المشوهتين»

فما كان من الطفله إلا أن ارتمت فى حضن أمها وبدأت تقبل يديها قائلة « إننى أحبك يا أمى أحبك جداً وأكثر ما أحبه فيك يديك» وصارت تمسك بيدى أمها دائما وتحب أن تقبلهما فى كل مكان معلنة أمام الجميع« إن تلك اليدين قد دفعتا ثمن حياتى»

نعم إن الرب يسوع قد سار فى طريق الألم حتى الموت لتحيا أنت !! وهو يطلب منك الآن أن تتبعه فى نفس الطريق، إن كنت تحبه ؟ وإن أردت حقاً.




٣


هل يحتاج الأمر لنوع
جديد من الإيمان؟

فكما

«فكما قبلتم المسيح يسوع الرب اسلكوا فيه متأصلين ومبنيين فيه وموطدين فى الإيمان كما عُلمتم متفاضلين فيه بالشكر» كو ٢ :٦ - ٧

« أما كل الذين قبلوه ... أى المؤمنون باسمه » يو ١٢:١

كان إيمان القبول فى منتهى البساطة هو ارتماء كامل فى أحضان الله المحب لأننى عرفت خطيتى وأدركت عجزى الكامل عن الحياه أو الاقتراب لله القدوس ، فجاء المسيح ومات عوضاً عنى مقدماً لى نفسه لأحيا ، وكان كل ما فعلته هو الإيمان والتصديق البسيط ، فقبلت عمل المسيح الكامل لأجلى فى الفداء والغفران .

ولكن ذاتى لم تسمح لى بعد ذلك بأن أقبل فعل حياته داخلى وأن أسلك فيه ببساطه الإيمان كما قبلته أولاً ، لم يكن السبب ضعف إيمانى ، ولا اعتقد أن مسيح الأمس قد تغير أو عجز أمام تيارات القرن العشرين ، إن المشكلة هى إننى مؤمن !! لا بل مؤمن قوى !!

نعم ولكن بذاتى وقدراتى. بعقلى وحسن تدبيرى لجميع أمور حياتى ، دائما وأبداً أجد ورقة أخيرة للعب بها .

ولكن الله يريدنى أن أؤمن به هو وكما قبلت الحياة التى أعطاها لى فى المسيح يسوع، كذلك يريدنى أن أقبل فعلياً شخص المسيح نفسه ليحيا فىّ بالروح القدس حياته هو وليست حياتى أنا!!

إن إيمان السلوك والنمو يعنى ببساطة الإتكال على الله وتسليمه كل شئ والثقة الكاملة به، ورغم أننى اعتدت كثيراً على سماع هذا الكلام وترديده إلا إننى لم أعرف حقيقه العيش به .

تخيل معى إنساناً أصيب فى حادث أليم كاد يؤدى بحياته ، ولكن الطبيب الماهر بعدما فعل المستحيل فى عملية جراحية صعبة ومعقدة للغاية تمكن من إنقاذ حياة ذلك المسكين الذى كان فى حكم الموت.

وعندما أفاق من غيبوبته نظر إلى الطبيب بامتنان قائلاً: «أشكرك من كل قلبى على ما فعلته من أجل إنقاذى ، ولكننى من الآن فصاعداً لن أتناول إلا ما يروقنى من الأدوية ولن أسمح بإجراء أى فحص أو اختبار لى إلا عندما أريد ذلك ، وسأمارس ما أراه مناسباً فقط من تمرينات وأساليب العلاج الطبيعى .. وعندئذ سأصبح فى أفضل حال » ولم يكن هذا المريض فى الأصل طبيباً !! ترى ماذا تفعل لو كنت أنت مكان الطبيب المعالج له ؟

نعم بالتأكيد حاول إقناعه بكل الوسائل الممكنة بخطأ اعتقاده هذا وأن حالته لن تتحسن بل ستسوء إن هو فعل ذلك

ولكن المريض ازداد تصميماً وعنداً ورفض بشدة كل محاولات إقناعه !! وأخطر الطبيب أن يتركه لتحقيق إرادته . بالطبع لم يخرجه خارج المستشفى لكنه ابتعد عنه مراقباً حالته التي بدأت تسوء تدريجياً حتى كادت تنهار وعندها صرخ المريض « أيها الطبيب المبارك يامن أنقذت حياتي قبلاً أنت أفضل من يعرف كيف يحافظ عليها ويضمن لها الاستمرار السليم» يالغباوتي وعنادي !! هل كنت أنا موجوداً مع الله عندما ولدني ثانية أعطاني الحياة بعد موت فاعتقد ، أن بمقدوري حفظها وتنميتها ؟

ولكن إن كان موت المسيح قد منحني الحياة إذ قبلته بالإيمان. فكم بالحرى حياته تفعل داخلي عندما أترك له الفرصة وأثق به ليحيا فيَّ .

« لأنه وإن كنا ونحن أعداء قد صولحنا مع الله بموت ابنه فبالأولى كثيراً ونحن مصالحون نخلص بحياته » رو ٥ : ١٠

وبالرغم من أن موضوع الإيمان بالكامل ينحصر في تلك الكلمات: التسليم والثقة إلا أنه يعني الكثير، بل ربما أكثر وأعمق مما نتوقع أو نعرف.

لنذهب إلى الإصحاح الحادي عشر من الرسالة إلى العبرانيين لنعرف أكثر عن الإيمان « أما الإيمان فهو الثقة بما

يرجى والإيقان بأمور لا ترى .. بدون إيمان لا يمكن إضاؤه لأنه يجب أن الذى يأتى إلى الله يؤمن بأنه موجود وأنه يجازى الذين يطلبونه .

(١) بالإيمان إبراهيم لما دُعى أطاع أن يخرج .. فخرج وهو لا يعلم إلى أين يأتى.

٢ - بالإيمان سارة نفسها أيضا أخذت قدرة .... إذ حسبت الذى وعد صادقاً .

٣ - بالإيمان قدم إبراهيم إسحق وهو مُجرب .. إذ حسب أن الله قادر على الإقامه من الأموات

٤ - بالإيمان موسى لما كبر أبى أن يدعى ابن ابنه فرعون .. مفضلاً بالأحرى أن يذل مع شعب الله على أن يكون له تمتع وقتى بالخطية . حاسباً عار المسيح غنى أعظم من خزائن مصر لأنه كان ينظر إلى المجازاة .. بالإيمان ترك مصر غير خائف من غضب الملك لأنه تشدد وكأنه يرى من لا يرى » عب ١١ :١ ، ٦ ،٨ ، ١١ ، ١٧ ، ١٩ ، ٢٤ - ٢٧

نعم إن الإيمان هو أن تثق بما ترجوه ... وألا يكفيك رجاء أن الله يحبك جداً حتى أنه بذل ابنه الوحيد ليموت عنك ، وبالتالى فلابد من أن تتيقن من قدرته وسلطانه ويده غير المنظورة التى تحرك كل الأمور للخير لك .

عندما تطلب شيئاً من شخص عظيم فيجب أن تمنحه الثقة اللائقة به وتترك الأمر تماماً بين يديه وقد ضمنت تدخله لصالحك

وتأثيره الفعال فى تحقيق ما تطلبه، وإلهنا الغيور لا يقبل أقل من ثقتنا الكاملة به وبقدرته الفائقة لحل أصعب الأمور وأعقد المشكلات وإمكانيته الدائمة لتحقيق مستحيلاتنا.

فلك أن تتخيل مدى حزن قلبه عندما تطلب منه شيئاً هاماً لحياتك أوحلاً لمشكلة تؤرقك .. ثم لا تلبث أن تعود لمحاولاتك البشرية الفاشلة مرة أخرى وكأنك طلبت من إله غير موجود!!

بالتأكيد أن طبيعتنا البشرية تفضل السلوك والتعامل مع الأمور بالعيان فنحن مثلاً لا نستطيع الاحتفاظ بصلات قوية مع من لا نراهم لفترة طويلة !!

والإيمان الحقيقى هوالتعامل بما يفوق طبيعة البشر. إذ نثق فى إلهنا الذى لم نراه بعيوننا . وهو يدربنا على حياه الإيمان تماماً كما يتدرب رافع الأثقال تدريجياً. أى البدء بأحمال خفيفة أولاً ثم زيادتها شيئا فشيئاً.

أولا: بالإيمان إبراهيم لما دعي أطاع .. فخرج

لقد دعى الله إبراهيم أن يخرج إلى مكان لا يعرفه ، ليترك أهله وعشيرته وجميع من يعرفهم فى أرضه ويذهب إلى حيث لا يعلم فخرج وذهب إلى حيث يقوده الله الذى يعلم وحده إلى أين يأتى به ، تقول ربما استطاع إبراهيم أن يفعل ذلك !! ولكن هذا يعد نوعاً من الجنون فى عصرنا الحالى . ولست ابتعد كثيراً عن الرأى المعاصر، فربما فى بعض الأحيان يصعب علينا تمييز الاختلاف بين الجنون والإيمان من حيث الظاهر ، فكلاهما يتفق

بل ويتضاد غالباً مع تفكيرنا ومنطقنا البشرى والأرضى.

ولكن الفرق الحقيقي يكمن فى أن الجنون يقل كثيراً عن مستوى فكرنا ومنطقنا البشرى الطبيعى بينما يعلو الإيمان فوقه عالياً ليتمسك بالله وبسلطانه لفعل أصعب وأبعد المستحيلات بالنسبه لنا .

لست أعرف بالتحديد ما هى دعوة الله لك؟ ولكننى أثق أنه يدعوك لشيئا معيناً بصفتك أحد أبناءه الأحباء ، لابد أن تكون لك رسالة ودعوة محددة منه .

ربما لتخرج من حيث أنت الآن !! لتذهب لمكان ما.

وربما يدعوك لتبقى حيث أنت !! ولتتمسك بما أعطاه لك!

وأيا كانت دعوته فالطريقة الوحيدة لقبولها وطاعتها هى الإيمان. وليس المقصود أن تتخيل ما يدعوك الله إليه بالصورة التى تناسبك ثم تطيع على أساس ما وضعته فى مخيلتك من تصور يرضى ذاتك، بل أن تتكل على ذلك الذى يدعوك وتثق به وتتبعه .

دعا أحدهم شخصاً للنزول فى بئر جافة بواسطة حبل طوله مساوٍ لعمق البئر ، وبدأ فعلاً بالنزول فى البئر متعلقاً بالحبل وبدأ الضوء يتلاشى شيئاً فشيئاً إلى أن وصل لنهاية الحبل وقد اكتنفه الظلام التام ، مد قدمه لأقصى ما يمكن أن تطوله ولكنها لم تلمس الأرض ، تمسك بآخر طرف الحبل وأخذ يحرك قدميه فى جميع الاتجاهات محاولاً أن يجد لها أى مقر دون جدوى . أصابه

الرعب وبدأ يشعر بالضعف وأن يداه لن تحملاه طويلاً ، ولكنه ظل متمسكاً بالحبل حتى خارت قوته فسقط .

وإذا به واقف على قدمية فوق أرض ثابتة ، فلم يكن قاع البئر يبعد بأكثر من سنتيمترات قليلة عن قدمية ولكن أنى له أن يراه فى هذا الظلام الدامس .

ربما يبدو ما يدعوك الله إليه كقفزة مخيفة في الظلام ، وربما تظن أنها النهاية ، ولكن ما أن تدفع بقدميك فى الهواء واثقاً فى إلهك وتابعاً لدعوته حتى تجدهما قد استقرتا على صخر متين لا يهتز أبداً .

تأكد أن إلهك يدعوك للدخول إلى عمق أجمل وأروع لحياتك، لا تتردد ، بل ثق به واتكل على محبته وأخرج معه كما خرج إبراهيم قديماً وهو لا يعلم إلى أين يذهب.

ثانيا : بالإيمان سارة ... أخذت قدرة:

بعد الطاعة لدعوة الله لك والخروج الفعلى إليه يعطى الله القدرة على تنفيذ وتتميم ما دعاك هو إليه ، وهذا ما نراه إذ نتابع مسيرة الإيمان العظيمة لعائلة إبراهيم ، فعندما دعاه الله ليخرج لم يكن يرى ذرة أمل واحدة فى أى شئ أمامه ولكنه أطاع بالإيمان .

ويالعظمة قدرتك ياإلهى !! إذ تعطى وعداً لذلك الكهل الذى فى حكم الموت هو وزوجته التى تعدت سن الإنجاب بنسل كرمل البحر فيه تتبارك جميع شعوب الأرض .. إشارة إلى المسيح

الذى أتى فعلاً من نسل إبراهيم.

وإذ حسبت سارة الله الذى وعد صادقاً وآمنت بمواعيده ، أعطاها الله قدرة على إنشاء نسل وولدت إسحق ابن الموعد.

ذلك الابن الذى انتظراه طويلاً وكان يمثل حلم إبراهيم وساره طول حياتهما ، بعدما تقدمت الأيام بهما وفقدا كل قدرة على الإنجاب مد الله يده وأعطاهما إسحق ، وإذ كان لهما إيمان قد تدربا به على إطاعة صوت الله تمكنا بنفس الإيمان من الحصول على قدرة الله واختبارها ، تلك التى تبدأ حيث تنتهى قدرتنا البشرية ، وجاءهما إسحق

كنت أثق إلى حد بعيد فى قدرتى على الإقناع وتوصيل بشارة يسوع إلى أى إنسان ، ولكننى حاولت بكل قدرتى أن أجعل شخصاً أحبه جداً يقبل يسوع لحياته مستخدماً كل إمكانياتى ومعرفتى ولكن دون جدوى .. لا بل إنه ازداد عنداً ورفضاً ، ورأيت المعنى الحقيقى لصلابة الإنسان فى رفض ذلك الشخص لقبول يسوع!

وإذ فشلت رفعت يدى ناظراً إلى إلهى وطالباً معونته وإذ ذاك جاء وعد الله لى بأن يفعل هو ما فشلت فيه أنا !!

وكل ما قدمته هو أننى حسبت الذى وعد صادقاً وشكرته لاستجابته .

وبعد فترة ليست بطويلة فى الوقت المعين من قبله رأيت كيف يذيب الله أصلب القلوب والعقول الإنسانية كقطعة من

الشمع الساخنة بهدوء بين يديه .

وهنا أدركت الفارق الكبير جداً بين قدراتى المحدودة وقدرته اللامحدودة والتى لا يمكننى التعامل معها والحصول عليها إلا بالإيمان ؟ وفهمت لماذا كلم فيلسوف المسيحية بولس الكورنثوسيين قائلاً «وأنا كنت عندكم فى ضعف وخوف ورعدة كثيرة . وكلامى وكرازتى لم يكونا بكلام الحكمة الإنسانية المقنع بل ببرهان الروح والقوة لكى لا يكون إيمانكم بحكمة الناس بل بقوة الله » ١ كو ٢ :٣ – ٥

هل انتهت قدراتك الطبيعية ؟ هل صرت فاشلاً عديم القوة فى بعض الأحيان ؟ هل تظن أن حياتك وطرقك قد اختفت عن الرب ؟

ربما نسى الله أن يسدد احتياجاتك أو فات حقك .

ألم تعد فيك أيه قوة ولا ذرة أمل للاستمرار؟

« أما عرفت أم لم تسمع ؟ إله الدهر الرب خالق أطراف الأرض لا يكل ولا يعيا . ليس عن فهمه فحص . يعطى المعيى قدرة ولعديم القوة يُكثر شدة . الغلمان يعيون ويتعبون والفتيان يتعثرون تعثراً . وأما منتظرو الرب فيجددون قوة . يرفعون أجنحة كالنسور . يركضون ولا يتعبون يمشون ولا يعيون » إش ٤٠ : ٢٨ – ٣١

مهما استحالت مشكلتك وخارت قوتك تماماً !! ربما لا يوجد أى منطق يمكنه قبول إمكانية تحقيق هذا الأمر أو حل تلك المشكلة .

ارفع عينيك إلى الهك واسمع وعودة لك .. أليس هو نفسه الذى قال « الحق أقول لكم إن كان لكم إيمان ولا تشكون. إن قلتم لهذا الجبل انتقل وانطرح فى البحر فيكون. وكل ما تطلبونه فى الصلاة مؤمنين تنالونه » مت ٢١ :٢١ - ٢٢. ترى كم مؤمن حقيقى فى عصرنا الحالى يصدق هذا الكلام فعلاً؟ ويعيش به. لعدم الإيمان صرنا بلا قوة، نتعب بسرعة ونفشل ونتذمر لأقل وأتفه الأسباب .

وصارت وعود الله عبارات جوفاء لا تصلح غير للترديد من فوق المنابر وبأقلام الكتاب . ولكن لا. فإن إله إبراهيم وإسحق ويعقوب لم يتغير ! «فيسوع المسيح هو هو أمساً واليوم وإلى الأبد» عب ١٣ : ٨

فقط إن استطعت أن تحسب (أى تعتبر ذلك الأمر حقيقة وواقعاً فعلياً فى حياتك) الذى وعد صادقاً ، كما فعلت سارة يمكنك أن تأخذ نفس تلك القدرة الإلهية وتتمتع بتحقيق وعوده معك.

ولا تنسى أن ذلك لا يحدث إلا بعد أن تطيع دعوة الله وتخرج معه.

ثالثا : بالإيمان قدم إبراهيم إسحق وهو مجرب

بعدما تختبر قدرة الله فى حياتك وترى يده التى تعمل بقوة لتحقيق وعوده يأتى دور المذبح ويطلب الله تقديم أعز الأشياء أو الأشخاص بالنسبة لك .. نعم هو يطلب إسحق لتقدمه ذبيحة له.

« يالعمق غنى الله وحكمته وعلمه . ما أبعد أحكامه عن الفحص وطرقه عن الاستقصاء » رو ١١ :٣٣. بعد كل تلك السنين، هل أعطيت يارب لإبراهيم الابن الوحيد إسحق والذى وعدته أن به يُدعى لك نسل لتأتى الآن وتطلبه ذبيحة؟

ما هذا يارب . هل غيرت وعدك لإبراهيم ، ولن تعطيه نسلاً كرمل البحر ؟ أم إنه ليس بإسحق ؟ وأنت يا إبراهيم . ماذا تفعل؟ هل تقدم ابنك وحيدك إسحق ذبيحة ، وتتركه لله بهذه البساطة !! ألا تحاول وتجاهد مصلياً ربما يتحنن الله ويتنازل عنه؟ أم أنك تعبت وربما أصابك اليأس من تحقيق الله لوعده الغريب معك ؟

ولكن لا . فإن إبراهيم هذا الذى أطاع وخرج خلف إلهه ، ثم صدق وعده له فأخذ هو وسارة قدرة إلهية لتحقيقه بانجاب إسحق . هو نفسه الذى يأتى الآن ليقدم إسحق ذبيحة أمام الله ليموت إذ حسب أن الله قادراً على الإقامة من الأموات أيضاً .

إنه لم ييأس ولا ساوره الشك لحظة فى أن وعد الله له سيتحقق « ليس الله إنساناً فيكذب ولا ابن إنسان فيندم . هل يقول ولا يفعل أو يتكلم ولا يفى» عد ٢٣ : ١٩ وعندما نعود إلى تكوين ٢٢ نلاحظ شيئين فى غاية الأهمية بتلك الحادثة.

أولهما : أن إبراهيم لم يفكر فى الأمر ويراجعه داخل نفسه بل يقول الكتاب « فبكر إبراهيم صباحاً .. وقام وذهب » وبالرغم من كونه استغرق ثلاثه أيام كاملة ليصل إلى أرض المريا حيث

الموضع الذى اختاره الله . إلا أنه لم يتراجع ولا تردد فى تنفيذ ما طلبه الله منه .. واعتقد أن الله قد اختار ذلك الموضع البعيد ليعطى الفرصة الكاملة لامتحان إبراهيم ، طوال مسيرة ثلاثه أيام تعرض إبراهيم لصراع فكرى رهيب وبدأ عدو الخير يوجه سهامه الملتهبة .

ألا يمكن أن يقبل الله أى ذبيحة غير إسحق ؟ أهذا هو إلهك الذى تظن أنه يحبك !! ها هو لا يسعى إلا لشقاوتك واتعاسك !! وإن أعطاك السعادة للحظات قليلة .. لا يلبث أن يستمتع بعدها بإيلامك وتجريدك مما تحب وإبعادك عن أحب الأشخاص إليك !! ها هو يطلب منك إسحق.

ولكن هيهات لإبليس تحقيق مأربه ، فقد رفع إبراهيم ترس الإيمان الذى تدرب جيداً من قبل على استخدامه ، واستطاع به أن يطفئ جميع سهام الشرير الملتهبة (أف ٦ :١٦).

والشئ الثانى: أنه لم يناقش أى إنسان فى الأمر ولا حتى سارة امرأته بل أننا نجد إسحق نفسه يصعد الجبل وهو يسأل عن الذبيحة، فيجيبه إبراهيم بإيمان بسيط «الله يرى له الخروف للمحرقه يا ابنى»

فغالباً إذا طلب الله إسحق من أحد أبناءه، فإن ذلك الابن يكون مخطئاً إذا ناقش هذا الأمر مع كثيرين. لأنه لن يجد من يوافقه الرأى إلا إذا كان مؤمناً ناضجاً وحكيماً .. ولست أشك فى أن سارة لو عرفت بهذا الأمر لكانت قد منعته أو عطلت تنفيذه .

لذلك أيضا يقول الرسول بولس « لما سر الله أفرزني من بطن أمي ودعاني بنعمته أن يُعلن ابنه فيَّ لأبشر به بين الأمم. للوقت لم استشر لحماً ودماً . ولا صعدت إلى أورشليم إلى الرسل الذين قبلي بل انطلقت » غل ١ :١٥ - ١٧ . وبالتأكيد لو كان صعد لأورشليم طالباً موافقة الرسل على دعوة الله له للتبشير بالإنجيل بين الأمم وغير اليهود لرفضوا ذلك الأمر بشدة، بل وربما اعتبروه سفيهاً !!

وهنا أود توضيح شيئاً هاماً وهو أن إسحق الذى يطلبه الله لا يمكن أن يكون شيئاً أو شخصاً متعباً نريد تركه أو الخلاص منه ، بل هو غالباً ما يكون الأحب إلينا، هو ما تتعلق به قلوبنا جداً ربما فى بعض الأحيان ودون أن ندرى أكثر من تعلقها بالله ذاته .

إن كان الله يطلب منك إسحق فعلاً!! فأنت تدرك جيداً مدى صعوبة هذا الأمر.. ربما تقول اقتلنى أنا ولكن لا تطلب إسحق مني !!

نعم وهذا لأن تعلقنا بإسحق يصل أحياناً إلى حد أكثر من تعلقنا بحياتنا ذاتها !! ولكن أؤكد لك أن أباك السماوى لا يريد إيلامك ، بل هو فى الحقيقة يدرك مدى الألم الذى يسببه لك بهذا الطلب ، ولكنه يريد أن يحول كل تعلق قلبك وتمسكك من إسحق، إليه هو .

إن هدفه ليس إسحق بل هو أنت !! نعم هو يريدك أنت !!

لست أحاول إقناعك بتقديمه .. فالطريق الوحيد لذلك هو أن تستخدم نفس الإيمان الذى به أطعت وخرجت إلى حيث دعاك الله، ثم أخذت قدرة وقوة الله بنفس هذا الإيمان ، الذى به أيضاً يمكنك أن تقدم إسحق الآن .

وعندئذ فقط يظهر لك الرب فى جبل « يهوه يراه» أى الرب يرى كما ظهر لإبراهيم ويعطيك إسحق بحياة جديدة .. ويباركك جداً. لن يتغير إسحق .. ولكنك أنت تكون قد تغيرت .

« لأنك فعلت هذا الأمر .. ولم تمسك ابنك وحيدك »

تك٢٢ :١٦

رابعا : بالإيمان موسى أبى، وترك مصر :

إن من سار فى طريق الطاعة وأخذ قدرة مختبراً قوة الله فى ضعفه ثم وصل به الأمر لتقديم اسحاقه الغالى ورأى مجد الله ، بالتأكيد لن يغريه شيئاً أو مجداً أرضياً ولن يكون له يوماً كنزاً أو عزيزاً على الأرض .

انظر إلى موسى يأبى أن يكون من سلالة الفراعنه آلهه عصرهم وزمانهم ويفضل الذل مع شعب الله على التمتع بأى لذة وخطية ، وقد طرح كل علوم المنطق والحساب التى تعلمها من المصريين وحسبها بالإيمان فوجد أن عار المسيح - الذى لم يكن قد جاء بعد - غنى أعظم من خزائن مصر لأنه كان ينظر إلى المجازاة. ترى هل هذا ممكن أن يحدث؟ ألا يعتبر نوعاً من الجنون أو التطرف فى عصرنا الحالى!!

بل استمع أيضاً للرسول بولس الذى كان له أفضل وأرفع الميزات كيهودى ويسلك حسب الناموس وهو يقول«لكن ما كان لى ربحاً فهذا قد حسبته من أجل المسيح خسارة . بل إنى أحسب كل شئ أيضاً خسارة من أجل فضل معرفة المسيح يسوع ربى الذى من الله بالإيمان » فى ٣ :٧ – ٩

اعتقدت قبلاً أننى أدرك هذا الكلام جيداً . حتى طلب منى تقديم إسحق وهنا اكتشفت أننى لم أفهم أو أدرك أى شئ عن حساب الربح والخسارة الذى تكلم عنه بولس الرسول . إن الإيمان الذى تدرب جيداً فى طريق الطاعة حتى استطاع أن يقدم إسحق هو فقط الذى يقبل الحساب بهذه الطريقه الغريبة . وبهذا الإيمان فقط أمكن لموسى أن يترك مصر التى تشير إلى العالم بمجده والأشياء التى فيه ، غير خائف من غضب الملك. فهم بالتأكيد لن يتركوه يعيش بينهم لمدة ٤٠ عاماً ثم يمضى بهذه البساطة ولكن موسى تشدد وكأنه يرى من لا يُرى . وهكذا استطاع الله بعد مرور ٤٠ عاماً أخرى أن يعمل بموسى عملاً عظيماً إذ أخرج به شعباً اختاره من أرض مصر وقادهم إلى أرض الموعد.. وكان هذا العمل يمثل ببساطة مجموعة من المستحيلات غير قابلة للتصديق ولا يقبلها المنطق البشرى . ولكن الله فعل .

وبنفس هذا الإيمان – ولا يوجد طريق آخر – يريد الله أن يعمل بنا الكثير من الأعمال الصعبة والمستحيلة فى هذه الأيام !!

فهل نؤمن به ونصدقه ؟

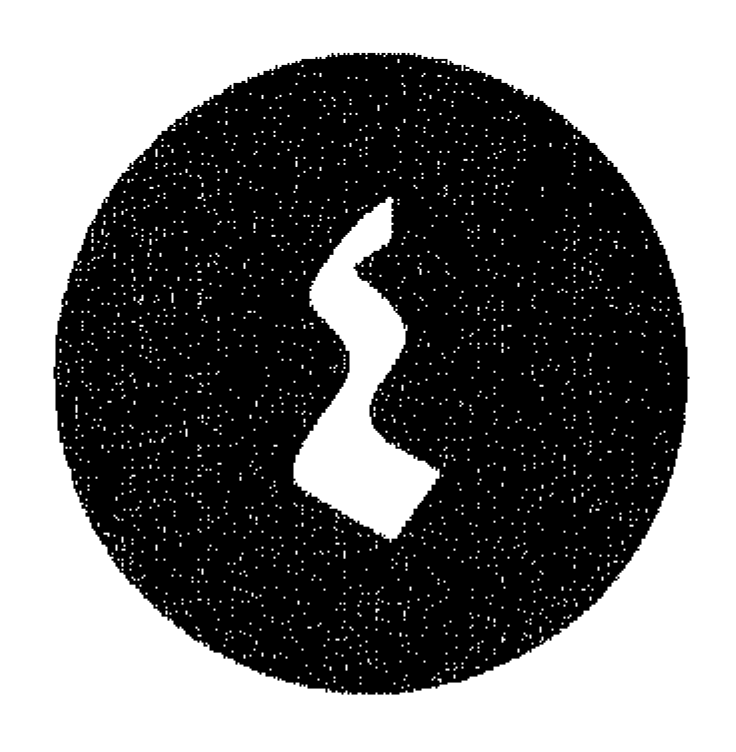
وأعود من جديد لأذكر بأن الإيمان ينمو ويتدرب تدريجياً ولا يصير أبداً بهذه القوة بين صبيحة وضحاها.

فعندما يبدأ إنسان ما فى التدريب على رفع الأثقال فإنه يتدرب أولاً على حمل بعض الأثقال الخفيفة والتى يبدأ فى زيادتها تدريجياً ، وقبل أن يضيف أى وزناً جديداً فعليه إتقان ما قبله تماماً ، أما إذا أراد الاشتراك فى بطولات ومباريات كبيرة لحمل الأثقال فهنا يجب عليه إتباع نظام غذائى معين ، والتخلى عن جميع العادات السيئة التى يمكن أن تؤثر على قدرته البدنية، ثم يبدأ فى خوض تدريب منظم وقاس .

وحسب قوة إرادته وقدرته على التحمل والمثابرة فى التدريب فإنه يأخذ مركزاً أفضل فى البطولة . وهذا هو ما يفعله الله معنا خطوة بخطوة ولا يمكن أن يطلب إسحق قبلما نكون قد أطعنا دعوته للخروج قبلاً !!

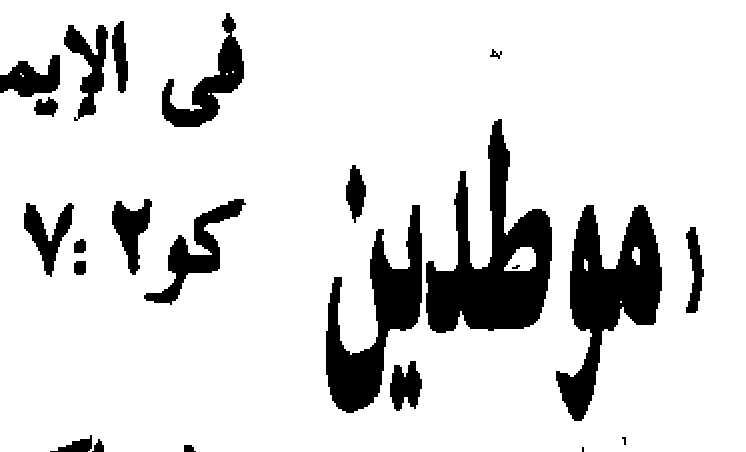
لا تحاول فهم كل الأشياء أثناء حدوثها ! ولا تطلب إدراك الأمر قبل طاعته، سيجيبك الله « لست تعلم أنت الآن ما أنا أصنع ولكنك ستفهم فيما بعد » يو ١٣ :٧

« لا تخف .. آمن فقط !! » لو ٨ :٥٠



ما هو معنـــى اشكروا فى كل شئ؟

في الإيمان كما عُلمتم متفاضلين فيه بالشكر»



كو٢ :٧

«شـاكـرين كل حين على كل شئ في اسم ربنا يسوع المسيح لله والآب » أف ٥ :٢٠

«افرحوا كل حين . صلوا بلا انقطاع. اشكروا في كل شئ. لأن هذه هي مشيئة الله في المسيح يسوع من جهتكم » اتس ٥ : ١٦ - ١٨

«لا تهتموا بشئ بل في كل شئ بالصلاة والدعاء مع الشكر لتعلم طلباتكم لدى الله . وسلام الله الذى يفوق كل عقل يحفظ قلوبكم وأفكاركم في المسيح يسوع » في ٤ :٦ - ٧

تحدثنا عن الإيمان الذى يعنى ببساطة التسليم والثقة والذى يدربه الله ويمتحنه حتى يتقوى ، إن هذا الإيمان يمثل الوجه الأول للعملة التى بها نتعامل مع إلهنا وبها نأخذ كل ما نريده أو نحتاجه وكل ما يريد هو أن يعطيه لنا من مخازن محبته التى لا

تنضب فى الوقت المناسب.

وكما أن ليست جميع العملات النقدية لها قيمة واحدة متساوية ، هكذا أيضاً الذى تعلم أن يطيع فقط لا يستطيع أن يأخذ مثل ذاك الذى قدم إسحق أو ترك مصر بما فيها !! « كما قسم الله لكل واحد مقداراً من الإيمان » رو ١٢ :٣

ولكن دعونا الآن نأتى إلى الجانب الآخر لنفس العملة وهو الشكر ، فإن أى عملة فى الوجود، معدنية أم ورقية إذا كانت لها صورة أو مطبوعة على جانب واحد منها فقط فهى لا تصلح للتعامل ولا تساوى شيئاً.

هكذا الشكر أيضا يمثل الجانب المكمل للإيمان فى علاقتنا بالآب السماوى .

فإن التسليم والثقة يمثلان الجانب الخفى فى القلب. الجانبى السلبى ويمكن أن نعتبره كأساس المبنى المدفون تحت سطح الأرض ولا يُرى، ذلك هو الإيمان .. أما الشكر فهو الإعلان والفعل الإيجابى أمام الآخرين ، إنه البناء القائم فوق سطح الأرض عالياً لمجد الله الآب .

يمكننا أن نرى الابن الوحيد يسوع يعطينا مثلاً واضحاً لذلك فى حادثة إشباع الجموع ، لقد كان إيمانه بذاته وبقدرة الآب على فعل أى شئ من خلاله يملأ كيانه وفكره، ذلك

«الذى به كان كل شئ » ولكننا نره يفعل شيئاً هاماً قبل أن يعطى التلاميذ « أخذ السبع خبزات والسمك وشكر وكسر وأعطى تلاميذه والتلاميذ أعطوا الجمع » مت ١٥ :٣٦

وعندما نذهب أيضا لتلك القرية الصغيرة المدعوة بيت عنيا ، هناك عند قبر لعازر قد رفعوا «الحجر حيث كان الميت موضوعاً ، ورفع يسوع عينيه إلى فوق وقال : أيها الآب أشكرك لأنك سمعت لى. وأنا علمت أنك فى كل حين تسمع لى ولكن لأجل هذا الجمع الواقف قلت . ليؤمنوا أنك أرسلتنى . ولما قال هذا صرخ بصوت عظيم لعازر هلم خارجاً . فخرج الميت » يو ١١ :٤١ - ٤٤

نعم لقد شكر يسوع بالرغم من كونه يعلم جيداً أن الآب يسمعه ولن يخذله أبداً ، أنه يثق تماماً فى أن لعازر سوف يقوم عندما يأمره ، ولكنه فعل ذلك ليؤمنوا أن الآب قد أرسلة .. فمن الطبيعى أن تشكر أى إنسان عندما يعطيك شيئاً ، أو عندما تطلب فعلاً معيناً لينفذه لك وعند تتميمه حينئذ تشكره .

ولكنك عندما تشكر قبل أن يفعل ما تطلبه منه، فإنك تعبر بذلك عن ثقتك الكاملة فى كونه سيفعل ، وتعلن إيمانك بمن تشكره وبقدرته على تنفيذ ذلك الأمر على أفضل وجه ممكن.

وهذا هو تمام ما فعله يسوع عندما شكر الآب قبل أن يقيم

لعازر ، إذ عبر بذلك عن مدى ارتباطه بالآب القادر أن يقيم من الأموات.

فالشكر يعلن الآب أمام الآخرين ويمجده إذ يعبر عن إيماننا وثقتنا الكاملة به «لكى تكون النعمة وهى قد كثرت بالأكثرين تزيد الشكر لمجد الله» ٢ كو ٤ :١٥

ولكن ما هى حقيقة ذلك الشكر ؟ أهى أن أقول دائماً شكراً لكى يارب!؟ وهل ترديد كلمات الشكر فى صلواتنا هو المقصود من اشكروا فى كل شئ!؟

غالباً ما نشكر الله بشفتينا فقط بعيداً عن قلوبنا ودواخلنا .. لقد صرنا ننافق الله - إن جاز هذا التعبير - دون أن ندرى . فإن نشكر فذلك يعنى أنك تثنى عل شخص ما لفعله معروفاً طيباً معك ، فالشكر الحقيقى يمثل حالة من القبول بفرح وهذا هو ما نفعله تماماً مع كل طيب وجميل يحدث معنا فنحن نقبله بفرح ويعتبر هذا رد فعل طبيعى لأى إنسان ، ولكن عند حدوث ما لا رغبه لنا فيه ووقوعنا فى مشكلة ما. إننا نتألم ولكننا نشكر لأننا تعودنا على ذلك والطبيعى أننا نحزن ونتذمر .. لكننا لن نفعل هذا أو ذاك، لن نشتكى بل لأنك طلبت منا أن نشكر ونحن يجب أن نطيع .. فشكراً لك يارب.

نقولها ونحن فى حالة يرثى لها من البؤس والشقاء ، فنحن

لم نقبل ما نحن فيه ولم نعرف معنى الفرح ، لم نصدق وجود الآب المحب فى وسط آلامنا ثم نقول شكراً يارب !! إنها تؤلمه حقيقة عندما يسمعها هكذا لأن شكرنا بهذه الطريقة إنما يعبر عن جهلنا التام بمحبة الآب لنا وينبع من برنا الذاتى ليس أكثر .

بينما يذكرنا الله أننا يجب ألا ننسى تلك الحقيقة أبداً «فنحن نعلم أن كل الأشياء (بما فيها مشاكلنا وآلامنا) تعمل معاً للخير للذين يحبون الله » لأن الآب السماوى « الذى لم يشفق على ابنه بل بذله لأجلنا أجمعين كيف لا يهبنا أيضاً معه كل شئ»رو ٨ : ٢٨ ، ٣٢

وعندما نصدق ونؤمن حقيقة بهذا وندرك أن الله الذى قال هو يفعل، فإننا نقبل بفرح كل هذه الأشياء ونستطيع فعلاً أن نشكر فى كل شئ .

تقول : هذا مستحيل ولا يستطيع إنسان طبيعى أن يشكر الله بهذه الطريقة. إننى لا أستطيع أبداً أن أقبل بفرح كل شئ يحدث معى، لا يمكن أن أواجه مشاكلى وآلامى بهذه الطريقة. إننى لا أستطيع أبداً أن أقبل بفرح كل شئ يحدث معى، لا يمكن أن أواجه مشاكلى وآلامى بهذه الطريقة؟! نعم إن هذا مستحيل بالنسبه لنا ولكنه سلوك طبيعى جداً لروح الله داخلنا. وعندما تترك له المجال فلن يفعل غير ذلك ، وهذا ما نجده فى الإصحاح الخامس من رسالة أفسس عدد ١٨ - ٢٠ . إذ يأمرهم

الرسول بولس أن يعطوا المجال باستمرار للروح القدس ليملأهم فيجعلهم شاكرين فى كل حين على كل شئ لأن هذه هى طبيعته ببساطة شديدة.

هيا بنا لنذهب مع بولس الرسول فى رحلته الغريبة والمحفوفة بالمخاطر بينما كان أسيراً مأخوذاً إلى رومية لعرضه على قيصر فى سفر أعمال الرسل الأصحاح ٢٧ .

لنرى عمقاً جديداً للشكر . كانت المجموعة تتكون من بولس وأسرى آخرين ويوليوس قائد المئة والعسكر المكلفين بالحراسة ، وكان قائد المئة يعامل بولس بالرفق . بدأوا رحلتهم فى البحر من قيصرية مارين تحت قبرس حتى وصلوا ميراكيلية ومنها ركبوا سفينه إسكندرية مسافرة إلى إيطاليا حتى رسوا أخيراً إلى الموانى الحسنة على الشاطئ الجنوبى لجزيرة كريت.

الشتاء برياحه الشديدة أوشكت بدايته ، وأخذ بولس ينذرهم لخطورة السفر والإبحار فى ذلك الوقت ، ويحذرهم من الضرر الذى يمكن أن يلحق بالسفينة والشحن ويصل حتى لحياتهم.

لكن الموانى الحسنة لم تعجبهم ليشتوا فيها وفضل الربان (قائد السفينة) أن يذهبوا إلى فينكس وهى عبارة عن ميناء أفضل يقع فى جزيرة كريت أيضاً ولكن فى نهاية الساحل الجنوبى من جهة الغرب ، وأيضاً قائد المئة فضل الاستماع لكلام الربان عن

تصديق كلام بولس وتحذيراته لهم . وهكذا ما أن نسمت ريح جنوبية ظنوا أنهم قد ملكوا مقصدهم فرفعوا المرساة وبدأوا التحرك بمنتهى الحذر بمحاذاة الشاطئ فى إتجاه فينكس.

ولكن لم يلبث أن انقلب النسيم إلى ريح زوبعية اختطفت السفينة إلى عرض البحر وفقدوا التحكم بها كلية .. صاروا إلى حال سيئة جداً. اسمعه يقول « وإذ لم تكن الشمس ولا النجوم تظهر أياماً كثيره واشتد علينا نؤ ليس بقليل انتزع أخيراً كل رجاء فى نجاتنا.

فلما حصل صوم كثير حينئذ وقف بولس فى وسطهم وقال: كان ينبغى أيها الرجال أن تذعنوا لى ولا تقلعوا من كريت فتسلموا من هذا الضرر والخسارة . والآن أنذركم أن تسروا لأنه لا تكون خسارة نفس واحدة منكم إلا السفينة .لأنه وقف بى هذه الليلة ملاك الإله الذى أنا له والذى أعبده ، قائلاً لا تخف يا بولس . ينبغى لك أن تقف أمام قيصر . وهوذا قد وهبك الله جميع المسافرين معك . لذلك سروا أيها الرجال لأنى أؤمن بالله أنه يكون هكذا كما قيل لى » ٢٧ :٢٥ وهنا يتضح لنا إيمان بولس وهو يعلن لهم ذلك الأمر دون أى خوف أو أدنى شك فى إمكانية تحقيقه ، وإلا كان قد احتفظ به فى قلبه ؟ ولكن الحال استمر كما هو عليه بل ربما ازداد سوءاً ، ولم يتأثر أحد فى السفينة بكل ما أعلنه بولس لهم ، حتى إننا نرى البحارة أنفسهم

يحاولون الهروب بقارب النجاة بعدما ظنوا أنهم اقتربوا البر.

لست أعلم هل بدافع الحكمة فقط قد حذر بولس قائد المئة والعسكر من هروب البحارة؟ هل لأن وجودهم شرط حقيقى لنجاة الجميع ؟

هل بامكانهم المساعدة وهم فى تلك الحاله من الضياع والظنون الخاطئة؟

أم أنك أيها العزيز بولس كنت تثق أن الله سينجى كل من هم فى السفينة وخفت على هؤلاء البحارة المساكين أن يهلكوا أنفسهم إن ابتعدوا عن السفينة محاولين النجاه بأنفسهم؟ بالتأكيد حنقوا جداً على بولس حين قطع العسكر حبال القارب وتركوه يسقط .. إذا أفسد مخططهم للهروب .. صار بولس فى موقف لا يحسد عليه حقاً فبالإضافةلحالة البحر الغاضب والجو المظلم من حوله فإنه ليس أكثر من أسير بين مجموعة أسرى تحيطهم شرذمة من العسكر الأشداء لحمايتهم ومعهم طاقم من البحارة قد صار هو شخصياً عدواً لهم .

ولكن عجباً لك يا بولس !! كان هذا، نحو نصف الليل وحتى قارب أن يصير النهار ظل بولس محاولاً إقناع كل من فى السفينة بتناول أى طعام قائلاً: « بعدما أمضيتم أربعة عشر يوماً صائمين لابد أن تتناولوا طعاماً موضحاً لهم أن ذلك سيفيد جداً

فى نجاتهم ومؤكداً أنه لا تسقط شعرة من رأس واحد منهم.. ولكن دون جدوى .

حتى فعل شيئاً غريباً كان له فعل السحر فى نفوسهم جميعاً «أخذ خبزاً وشكر الله أمام الجميع وكسر وابتدأ يأكل» . نظر الجميع له باستغراب شديد فإن فعلة كهذة لا تصدر إلا عن إنسان قد تمت نجاته فعلياً ووضع قدمه على بر الأمان ، أو إنسان مجنون فقد وعيه وعقله . ولكنهم تأكدوا من قبل بما لا يسمح للشك من أن بولس هذا هو أكثرهم حكمة ووعياً لما يحدث حوله بل وأفضل من قائد السفينة نفسه ، إذ كان هو الوحيد الذى سبق فحذرهم من خطورة السفر والإبحار من الموانى الحسنة.

لقد أعلن بولس بشكره هذا عن وجود إلهه وثقته الكاملة به وبوعده أن يضمن نجاتهم جميعاً ببساطة لأن إلهه الذى يعرفه جيداً ويؤمن به قد وعده بذلك ، وهذا حسب إدراك بولس يمثل ضماناً كافياً لتنفيذ ذلك الإله العظيم والقادر على كل شئ لوعده له وانقاذهم.

« كسر وابتدأ يأكل » إن الإنسان عندما يمرض نجده يرفض الطعام ولا يستسيغه ، فما بالك بإنسان يموت هل يقبل حتى تذوق الأكل وهو فى لحظاته الأخيرة ؟! فلا يأكل غير من يعلم جيداً أنه يحيا ويحتاج لهذه الطاقة لاستمرار حياته وحركته ويعبر

جسده عن ذلك بإحساس الجوع الذى يدفعه للأكل.

إذاً فبولس هذا الحكيم فى نظرهم متأكد تمام التأكيد من نجاته ، ولذا فهو يأكل لأنه يحتاج هذه الطاقة لحياته.

ولست أعجب لما حدث نتيجة فعل بولس «فصار الجميع مسرورين وأخذوا هم أيضاً طعاماً» ومن هنا صار النهار وبدأت نجاتهم« فهكذا حدث أن الجميع نجو إلى البر » أع ٢٧ :٣٦، ٤٤

كنت أتميز بأننى متذمر جيد على كل ما يدور من حولى ، معتقداً أننى بذلك انتقده مصححاً له ، ولكننى فى الواقع لم أكن بهذا إلا مبعثاً للتشاؤم والسواد إلى كل من هم حولى. إلى أن كشف لى الله أن الناس جميعاً يسعون بحثاً عن النور ولا ينقصهم من يأتى ليطفئ أى بصيص ضعيف بداخلهم .

سأل الرب يسوع قديماً « هل يؤتى بسراج ليوضع تحت المكيال أو تحت السرير؟ أليس ليوضع على المنارة!!» مر ٤ :٢١ وياللأسف فقد كنت بتذمرى وعدم القبول أو الشكر قد أتيت بسراج (وهو نور المسيح) وأخفيته داخلى ، وضعته تحت مكيال التذمر والحزن، بينما نجح الرسول بولس فى وضعه على المناره ، فقد آمن بتحقيق وعد الله له فزال عنه الخوف وحل مكانه الفرح والسلام ، وهذا هو حل المشكلة داخلياً ، ولكنه عندما شكر الله صار جميع من فى السفينة حتى أعداءه البحارة مسرورين وبدأوا

يقبلون النجاة من عند الله ، وهذا هو حل المشكلة خارجياً .

لست أعلم مـا هى ظروفك ؟ أو بماذا سـمح الله لك من مشاكل وصعوبات !! هل هو فشل ؟ أم مرض ؟ هل هو ضعف فى أمر معين ؟

هل شـريك حيـاتك لا يُحتـمل ولا يمكنك التكيف مـعـه واحتماله ؟

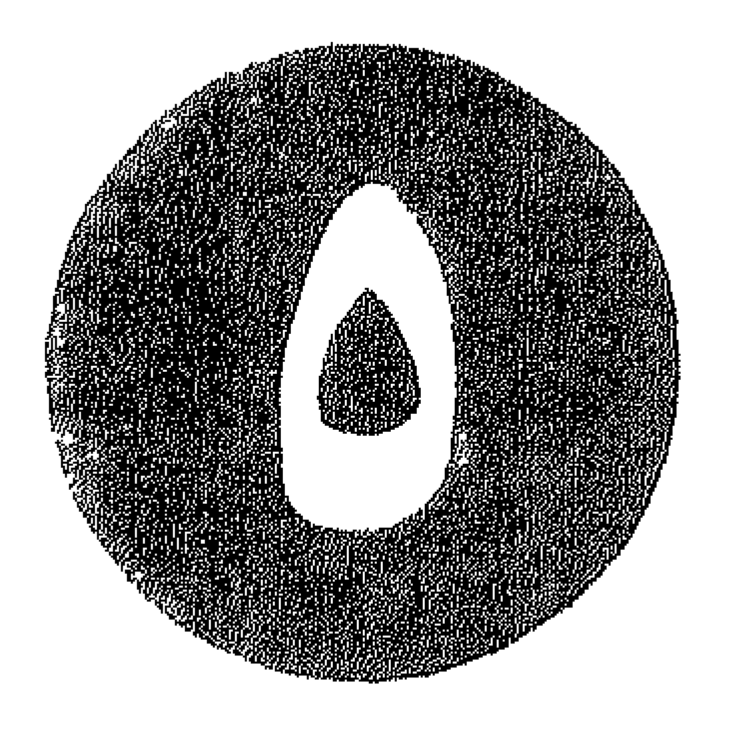
أم أن عائلتك ترفضك وتقاومك وكأنهم أعداء لك ؟ ربما لا يمكنك التكيف مع زمـلائك فى العـمل أو الدراسـة أو حـتى جيرانك من حولك، ربما أقرب الناس إليك لا يحسـون بك ؟ أم أنك وحيد متميز فى بعض الأشـياء الهامة مما يؤدى إلى انفصـال جميع المحيطين بك وابتعادهم عنك!!

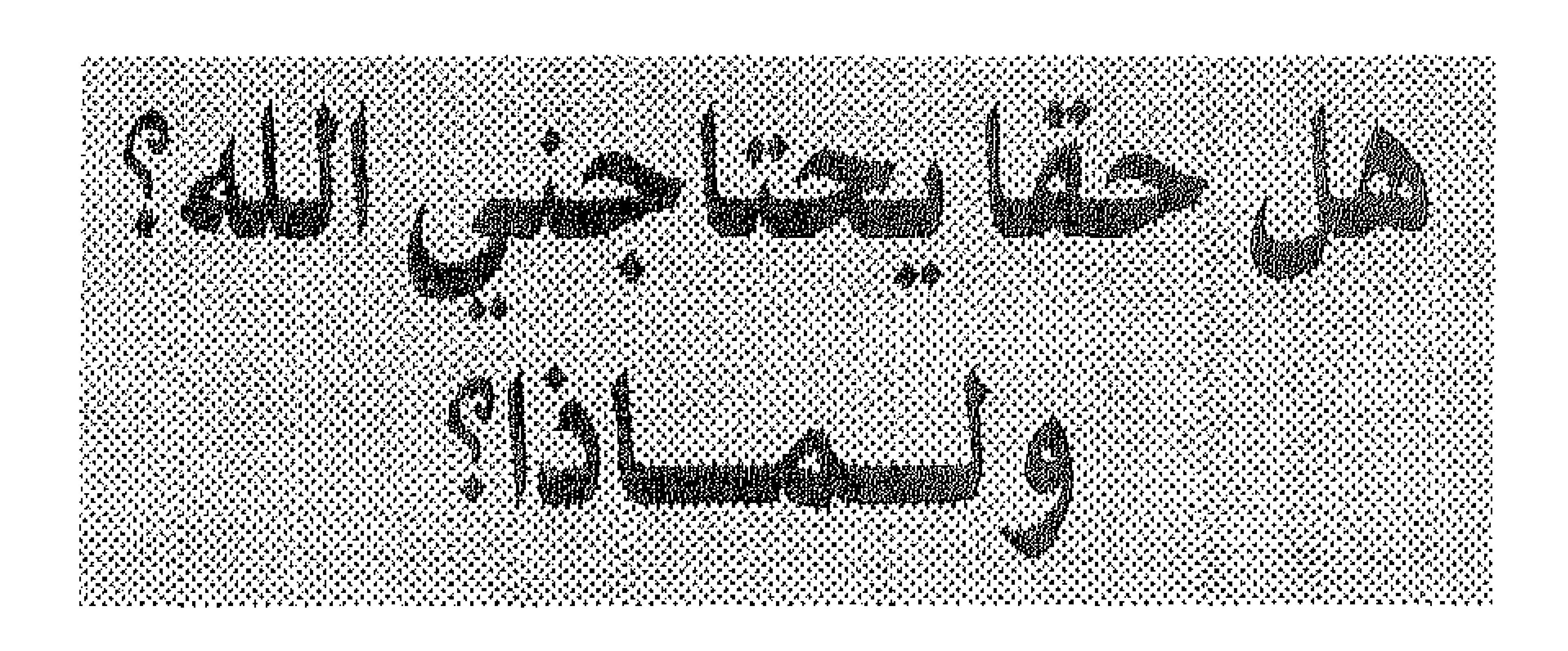
ربما يكون شـيـئاً أصـعب وأخطر من ذلك كله ولا يمكننى توقعه أو إدراكه !؟ لكن يمكننى أن أقول لك سلم ذلك الأمر أو تلك المشكلة لإلهك المحب واتكل عليه وثق ببساطة أنه استلم كل ما أعطيته ، صـدق أن أبيك السـماوى موجود معك ويراك جيداً وهو يمد يده حقيقة لتحويل ذلك الأمر لخيرك وفائدتك وعندئذ تطمئن وتفرح حتى لو لم يتغير الحال فوراً .

ثم اشكر أباك السـماوى وأعلن قبولك ورضاك أمام الجميـع، ارفع ابتسـامتك الحقيـقيـة عالياً وافرح بينمـا تتعقـد الأمـور وتزداد سوءاً !!

عش وتصرف على أساس أن المشكلة قد وصلت بين يدى الله ، حتى لو لم يظهر ذلك فوراً ثق به ، ودع روح الله يظهر النور الذى بداخلك أمام الجميع من خلال شكرك وقبولك بفرح حقيقى .. وعندئذ كن مستعداً لأنك سترى مجداً وقوة وحلاً لم تكن تتوقعه أو تحلم به فى مشكلتك وأيضا فيمن هو من حولك.. ولا تنس أن هذا فى الوقت الذى حدده الله والذى يراه مناسباً سيحدث بالكامل.

أرجوك ركز فكرك قليلاً سترى مشكلتك ماثلة أمام عينيك بضخامتها وبشاعتها!! ولكن ركز أكثر وبدقه طالباً إرشاد روح الله داخلك سترى تلك اليد المثقوبة لأجلك وهى تتعامل معها وتحولها لخيرك .. ألا يجعل هذا ابتسامتك تملأ وجهك . ويفيض قلبك فرحاً وسروراً وشكراً دائماً لأبيك السماوى .. هللويا.


٥


هل حقا يحتاجني الله؟
ولماذا؟

« وكان يسوع يطوف المدن كلها والقرى يعلم في مجامعها ويكرز ببشارة الملكوت . ويشفى كل مرض وكل ضعف في الشعب . ولما رأى الجموع تحنن عليهم إذ كانوا منزعجين ومنطرحين كغنم لا راعى لها. حينئذ قال لتلاميذه الحصاد كثير ولكن الفعلة قليلون . فاطلبوا من رب الحصاد أن يرسل فعلة إلى حصاده » مت ٩ : ٣٥ – ٣٨

«فتقدم يسوع وكلمهم قائلاً : دفع إليّ كل سلطان في السماء وعلى الأرض فاذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمدوهم باسم الآب والابن والروح القدس وعلموهم أن يحفظوا جميع ما أوصيتكم به . وها أنا معكم كل الأيام إلى انقضاء الدهر» مت ٢٨ : ١٨ – ٢٠ « وقال لهم اذهبوا إلى العالم أجمع واكرزوا بالإنجيل للخليقة كلها » مر ١٦ :١٥

«إذ الضرورة موضوعة عليّ . فويل لى إن كنت لا أبشر »

١ كو ٩ :١٦. عندما رأى يسوع الجموع تحنن ورق قلبه. فبالرغم من أنهم كانوا يحيطون به ويتبعونه وهم فى قمة السعادة به وبكرازته بينهم ومعجزاته الكثيرة التى يصنعها لهم وبهم .. إلا أنه عندما نظر إليهم ورأى بنظرته الفاحصة أعماقهم ودواخلهم منزعجين ومنطرحين كغنم لا راعى لها !!

ونحن عندما ننظر إلى الجموع من حولنا فى أى مكان فى العالم ترى ماذا نراهم ؟ هل هم أغنياء متحضرين، هل هم ذوى عقول وألباب فسيحة؟ أم أنهم أقوياء يفعلون كل ما يريدونه رغم كل المعطلات ؟ ربما حكماء جداً..! واجتماعيين يستطيعوا السيطرة على أى شئ أو أى شخص بلباقتهم وحسن تصرفهم؟ أم تراهم فنانين قد سما فنهم وحسهم الفنى إلى أعلى مراتب الفن؟

أم أننا نراهم كما رآهم يسوع منزعجين بسبب اهتمامات العالم ومشغولياته ومشاكله واضطراباته المتلاحقة ؟ ومنطرحين تحت ثقل الخطية ووطأتها ، وكغنم ضلت عن حب الله ورعاية الراعى الصلاح .. لا يجدون من يرعاهم.

هل ترى الحصاد كثير ؟ وهل تدرك أن الفعلة الحقيقيين قليلون؟

إن المؤمن الذى يدرك معنى وضروره الألم فى حياته ويتعلم كيف يؤمن ويطيع شاكراً الآب ويقبل بفرح وثقه كل الأمور

الحادثة فى حياته ، سوف يجد أمامه دعوة واضحة ووحيدة ترتفع فوق أى شئ أو هدف آخر فى حياته وهى تلك الكلمات الأخيرة ليسوع التى يدعونا فيها إلى أسمى وأصعب دعوة فى الوجود «اذهبوا إلى العالم أجمع واكرزوا بالإنجيل للخليقة كلها »

ولكن ألا يمكننى الذهاب حيث أريد ؟ وفعل ما أشاء فى حياتى ؟ هل لابد أن يكون عمل الإنجيل ودعوة يسوع للكرازة به هو الهدف الأولى لحياتى ؟

إن أفضل من يجيبنا هو الرسول بولس الذى يؤكد أن ليس لنا فى تلك الحياة سوى خدمة المصالحة «إن كان أحد فى المسيح فهو خليقه جديدة . الأشياء العتيقة قد مضت (بما فيها من أحلام وطموحات قديمة) هوذا الكل قد صار جديداً . ولكن الكل من الله الذى صالحنا لنفسه بيسوع المسيح وأعطانا خدمة المصالحة . أى أن الله كان فى المسيح مصالحاً العالم لنفسه غير حاسب لهم خطاياهم وواضعا فينا كلمه المصالحة . إذا (بما أن هذا هو كل شئ جيد قد وضعه الله ويريده فينا وبنا) نسعى كسفراء عن المسيح كأن الله يعظ بنا . نطلب عن المسيح تصالحوا مع الله » ٢كو ٥:١٧ - ٢٠

ولكن لماذا ؟ لماذا لا يمكن أن تكون لنا أهداف وأحلام أخرى بجانب ذلك ؟ فيجيب بكل بساطة وحب « لأن محبة المسيح تحصرنا . إذ نحن نحسب هذا أنه إن كان واحد قد مات

لأجل الجميع فالجميع إذا ماتوا. وهو مات لأجل الجميع كى يعيش الأحياء فيما بعد (هؤلاء الذين نالوا حياتهم من خلال موته نعم أنت وأنت) لا لأنفسهم بل للذى مات لأجلهم وقام »
٢ كو ٥:١٤ - ١٥

دعنا نتخيل مجموعة من الجنود الأشداء المسلحين جيداً فى أحد المعارك الحربية يحاصرون قرية ضعيفة حتى تستسلم لهم ، فيقومون بالاستيلاء على كل ما فيها من مؤن وأطعمة ويأخذون بيوتها مأوى ومركزاً لهم ، والأخطر من ذلك كله أن كل من فى القرية ويمكن أن يكون ذا نفع لهم يأسرونه حياً .

نعم لقد أخضعوهم بالقوة وأسروهم تحت تهديد السلاح. فكل من يحاول الهرب أو العصيان يُرمى بالنار فوراً ، إن سكان القرية المساكين سيطيعون أى أمر ويضحون بأثمن ما لديهم مادياً كان أم معنوياً فى سبيل الإبقاء على حياتهم.

وقد حدث هذا الموقف كثيراً جداً فى الحروب والأعتداءات البشعة على مر السنين وهو يمثل المعنى الطبيعى للأسر والحصار.

ولكن الغريب جداً والذى يصعب فهمه هو موقف يسوع وقد حدث مرة واحدة ولا يمكن أن يتكرر ، فهو الأقوى الذى قال « دفع إلى كل سلطان » ولا تحاول أن تتخيل مدى هذا السلطان اللامحدود !! وإذا بصاحب هذه القوة وذلك السلطان يحاصرنا نحن المزدرى واللاموجود ولكن بماذا ؟ بمحبته !!

هل تدرك هذا ؟ إنك لو حاولت الهروب من أى منفذ فكرى أو مادى، لن تجد ما يمنعك سوى حبه العجيب لك بل ويجذبك أكثر إليه .. فأنت يامن قبلت يسوع محاصر بحبه لك.. ولن تستطيع الإفلات منه !!

والأعجب أن أولئك الجنود قد حاصروا أهل القرية وأسروهم تحت تهديد السلاح والموت .. بينما نجد يسوع قد حاصرنا وأسرنا بموته هو عنا.. لذلك فهو قد مات ليعيش الأحياء فيما بعد لا لأنفسهم بل للذى مات لأجلهم وقام.. وأريد فقط تكرار هذه الكلمة « لا لأنفسهم » مصلياً وطالباً نور الروح القدس ليكشف هذه الحقيقة ويعلنها فى كل قلب يسكنه .

ولكن كيف ؟ وما هو المطلوب بالتحديد؟

كفانا كلاماً مؤثراً لا يتعدى تأثيره مشاعرنا وعواطفنا فيلهبها ويحفزها .

نعم لا يهم كثيراً التأثير العاطفى لهذا الكلام.. لأنه وقتى !! فرغم أن الحب أو ما يصل إلى مشاعرنا وعواطفنا . إلا أن حب يسوع أقوى وأعمق من ذلك جداً. إنه يتخطى المشاعر ويخترق الفكر حتى يصل إلى الإرادة مركز التحكم ومسكن الأهداف فيأسرها ويتربع على عرشها ويملأها بذلك الهدف الواحد « أن الله صالحنا .. وأعطانا خدمة المصالحة» ولم يبق لنا إلا أن «نسعى

كسفراء عن المسيح» هل لك أن تتخيل إن ما يطلبه الله منك هو أن تكون سفيراً عن المسيح حيث أنت وحيث يدعوك هو !! وما أعظم أن يكون الإنسان سفيراً !! فهو يمثل بلاده ويتحدث بلسان الرئيس أو الملك حيثما يذهب ، وتكون له كسفير كل القوة والسلطة والمجد الذى لبلاده.. وآه لو كانت بلاده عالية الشأن عظيمة.. فمن منا لا يتمنى أن يكون سفيراً لأمريكا مثلاً فى أى مكان بالعالم . لأنه سيتمتع بكل ما تمثله أمريكا من حضارة وسلطان وقوة وثراء .. سيتحدث بلسان أعظم رؤساء العالم وأكثرهم سلطة !!

ولكننا نأتى أمام ملك الملوك ورب الأرباب ذاك المصلوب لأجلنا !! ونتردد أمام دعوته وارساليته.. ببساطة شديدة إن المسيح الذى أحبك حتى الموت يدعوك أن تكون سفيراً عنه لتعلن حبه للآخرين من حولك ! ترى ماذا سيكون جوابك؟

نقول أنا أدرك هذا الكلام وأوافق عليه وأقبله بكامل إرادتى ولكن ليست لى قوة .. لا أقدر أن أقوم بهذا العمل .. فأنا لا يمكننى أن أشهد ليسوع وأنا بهذا الضعف والفقر الروحى .. وإلا أسأت إليه بشهادتى !!

ولكن يسوع هذا الذى يطالبك بأن تشهد له قال لتلاميذه قبلما أن يصعد، إذ كانوا ضعفاء وغير فاهمين ويسألون عن رد مُلك إسرائيل « فقال لهم ليس لكم أن تعرفوا الأزمنه والأوقات

التى جعلها الآب فى سلطانه لكنكم ستنالون قوة متى حل الروح القدس عليكم وتكونون لى شهوداً فى أورشليم وفى كل اليهودية والسامرة وإلى أقصى الأرض » أع ١ : ٧ - ٨

اولا : لا تحاول معرفة وتحديد الأوقات .. أو بمعنى آخر لا تربط طاعتك وبداية إرساليتك بأى وقت كان بشرط حدوث شيئاً معيناً !!

أنت ضعيف!! يسوع يعلم ذلك جيداً ولذلك قد أعطانا مصدر القوة الحقيقية داخلنا. إنه الروح القدس الذى سكن فى قلوبنا عند قبولنا للمسيح بالإيمان « أم لستم تعلمون أن جسدكم هو هيكل للروح القدس الذى فيكم الذى لكم من الله. وأنكم لستم لأنفسكم » ١كو ٦:١٩

إن المشكلة تكمن ليست فى أننا لا نملك قوة !! بل فى أننا لا نعرف كيف نتعامل مع القوة الموجودة بداخلنا !! فإن شخص الروح القدس الذى يمثل قوة الله داخلنا هو فى غاية الحساسية لرغباتنا وميولنا.

إنه يحترم إرادتنا ولا يحاول فرض أى شئ علينا ؟! وليس ذلك ضعفاً منه بل حباً لنا .. فإن وسيلته الوحيدة للسيطرة على قلوبنا وامتلاكها هى المحبة « لأن محبه الله قد انسكبت فى قلوبنا بالروح القدس المعطى لنا » رو ٥:٥

وهو إذا يعلن لى ولك حب الله فى المسيح يسوع الذى سار

فى طريق حبه لنا حتى الموت ليمنحنا حياته .. ثم تريد أنت أن تعطيه جزءاً صغيراً من حياتك ومن وقتك واهتماماتك..!! إنه يحزن وهذا ما يحذرنا منه بولس الرسول قائلاً «لا تحزنوا روح الله القدوس الذى به ختمتم ليوم الفداء» أف ٥ :٣٠

نعم هو يحزن لأن الحب لا يمكن تقديره أو مبادلته بغير الحب !! وأنت إن لم يأسرك المسيح بحبه .. فإنه لن يهتم ولا ينظر لما تقدمه له مهما كان ثميناً عندك .. فلن يرضيه سوى حبك الكامل له !!

استمع إلى عروس النشيد فى نهاية تلك الرحلة المليئة بالدروس والتعاليم بعدما عرفت وأدركت عمق محبته وامتلك على قلبها بالكامل إذ تقول « اجعلنى كخاتم على قلبك كخاتم على ساعدك » اغمرنى دائماً بذلك الحب الرائع الذى منحنى الحياة، فأنا ملكك..!!

ولكن لماذا كل هذا الحب أيتها العروس الصغيرة ؟ فيجيب قلبها سابقاً شفتيها « لأن المحبة قوية كالموت . الغيرة قاسية كالهاوية .. لهيبها لهيب نار لظى الرب . مياه كثيرة لا تستطيع أن تطفئ المحبة . والسيول لا تغمرها إن أعطى الإنسان كل ثروة بيته بدل المحبه تحتقر احتقاراً» نش ٨ :٦ – ٧

واستمع أيضا إلى ذلك الفيلسوف الثائر وهو يشرح لأهل أفسس طريق القوة ويطلب من إلهه « لكى يعطيكم بحسب غنى

مجده أن تتأيدوا بالقوة بروحه فى الإنسان الباطن . ليحل المسيح بالإيمان فى قلوبكم (وترى فى أى حـال يحـدث هذا؟) وأنتم متأصلون ومتأسـسون فى المحبة . حتى تستطيعوا أن تدركوا مع جميع القديسين ما هو العرض والطول والعمق والعلو. وتعرفوا محبة المسيح الفائقة المعرفة (لأنها هى الطريق الوحيد (لكى تمتلئوا إلى كل ملء الله (وعندئذ نعطى الفـرصـة الكاملة له ونختبر حقيقة ذلك) القادر أن يفعل فوق كل شئ أكثر جداً مما نطلب أو نفتكر بحسب القوة التى تعمل فينا » أف ٣:١٦ - ٢٠

هل فهمت تأثير تلك المحبة الفائقة المعرفة؟ لقد حولت الإنسان القاسى العظيم المتكبر شاول إلى الرسول بولس « عبد وأسير ليسوع المسيح »رو ١ :١

ولنذهب إلى بحيرة طبرية بعد قيامة المسيح فى إنجيل يوحنا الأصحاح ١٢ لنجد القائد بطرس يأخذ معه سته آخرون من التلاميذ ويعودوا إلى الصيد من جديد بعدما ظهر لهم المسيح من قبل مرتين !! لكنهم لم يمسكوا شيئاً !!

وعند الصبـاح يرون يسـوع منتظراً على الشـاطئ ، ولا يعرفونه إلا عندما يظهر لهم قوته المعجزية بإعطائهم صيداً وفيراً.. ولا أريد أن نتطرق إلا إلى الحـديث الغـريب الذى دار بين الرب يسوع وبطرس على انفراد بعد الغذاء.

ترى لماذا نفس السـؤال ثم نفس الإجـابة لثـلاث مـرات

متتالية؟ ولماذا حزن بطرس فى المرة الثالثة؟ عندما استوضحت ذلك الأمر علمت أن فعل الحب أو يحب فى اللغة اليونانية أتت فى هذا الحديث بلفظين مختلفين فى المعنى والقيمة حيث يمكننا فهم الحديث هكذا : «فبعدما تغدوا قال يسوع لسمعان بطرس: ياسمعان بن يونا أتحبنى (أجابى) وهى تعنى ذلك الحب الإلهى النقى الكامل الذى يبذل نفسه لأجل من يحب . أكثر من هؤلاء (مشيراً إلى بقية التلاميذ، أصدقائه وشركائه فى العمل وإلى الشبكة والسمك والقارب والبحر) هل حبك لى أكبر وأعظم من حبك لكل هؤلاء يا بطرس ؟ فقال له نعم يارب أنت تعلم أنى أحبك (فيليو) وهو حب الصديق العادى ، إنه حب مخلص ولكنه محدود ومؤقت ، فكأنه يقول نعم أحبك كصديق مميز ليس أكثر.. فقال له ارع خرافى (ليس لى طلب آخر)

ثم يعود يسوع ليسأله ثانية. ربما لم تفهمنى جيداً يا بطرس فلست أعنى حب الصداقة ولكن أتحبنى مثلما أحببتك ذلك الحب الذى يفوق كل شئ (Agape) ؟ فيجيب بطرس نعم فهمت سؤالك من البداية وإننى أعنى تماماً ما أقوله ؟ فأنت تعلم أننى أحبك حب مخلص فأنت صديق مقرب لى(Fellio)

وعندئذ يبتسم الرب يسوع وينظر لبطرس مباشرة فى عينيه (كما اتخيل) قائلاً: هل حقاً يا بطرس. أتحبنى كصديق وفى (Fellio) ويفهم بطرس ويحزن لأن الرب سأله فى المره الثالثة

(Fellio) وليس (Agope). لقد اكتشف بطرس الحقيقة إنه حتى لم يتمكن من أن يحبه كصديق مخلص !! فقد عاد إلى البحر والشبكة ونسي يسوع تماماً، حتى إنه لم يعرفه عندما رآه على الشاطئ!! فقال له يارب أنت تعلم كل شئ أنت تعلم أننى أريد أن أحبك (Agope) كما أحببتنى أنت وألا يسود قلبى سوى حبك .. ولكننى ضعيف لا أستطيع .. فيجيبه يسوع ارع غنمى !! هل هذا هو طلبك الوحيد من بطرس ؟ ولا زال يسوع يكرر نفس السؤال الذى سأله لبطرس منذ حوالى ألفى عام على بحيرة طبرية أتحبنى أكثر من هؤلاء؟ وإن أجبت بنعم فهو يطلب منك. ارع غنمى

ولست أريد التعرض إلى نوعية ومكان الخدمة والعمل الذى يريدك فيه ، لأن هذا هو عمل الروح القدس وهو كفيل بتوضيحه واقناعك به عندما تريد !!

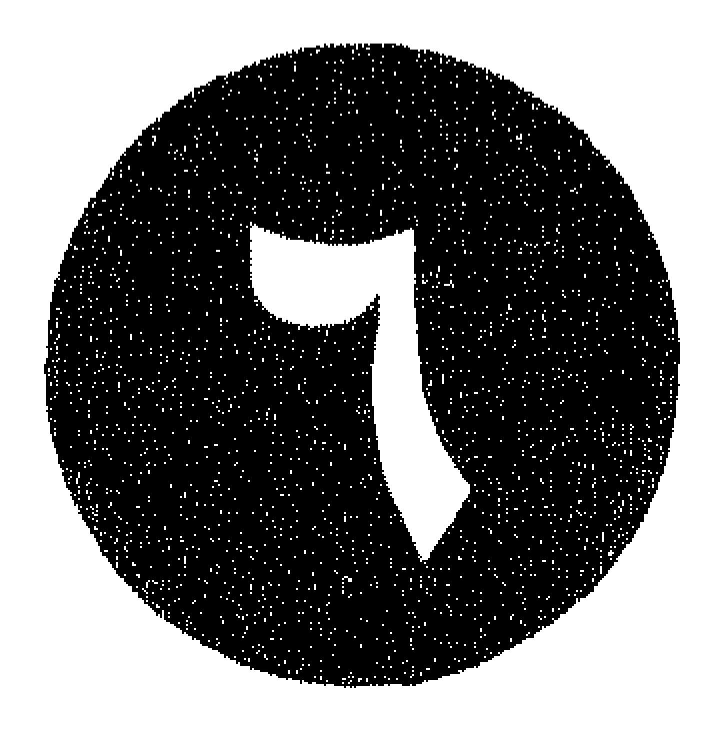
ولكننى أذكرك أن يسوع المسيح الذى أحبك وبذل نفسه عوضاً عنك يريدك أن تعلن حبة للآخرين.. ينبغى عليك أن ترى الذين يغرقون من حولك فى بحر الخطية والحياة المظلمة وهم يطلبون النجدة وأنت تملك طوق محبة الله لهم فى المسيح يسوع وهو كفيل بإنقاذ حياة أى منهم إذا ألقيته إليه وتمسك هو به. فما قيمة أعظم الأعمال أو أجل الخدمات التى تقدمها لأى

إنسان بجانب تقديم يسوع المخلص والذى فيه الحياة والنجاة له .

نحن نمتلك الحياة ، وعدم إدراكنا ومشغوليتنا تنسينا أن نقدمها للأموات من حولنا ، هل تذكر أن هذا هو السبب الوحيد لمجئ الرب يسوع إلى أرضنا «أما أنا فقد أتيت لتكون لهم حياة. وليكون لهم أفضل » يو ١٠:١٠

إن إلهنا المحب ينادى منذ القديم ويطلب « من أُرسل ؟ ومن يذهب من أجلنا» وقليلون يسمعونه.. وأقل منهم يستجيبون لندائه مع النبى إشعياء قائلين « هأنذا .. أرسلنى » إش ٦ : ٨

ترى يا أخى الحبيب بعدما سمعت بوضوح .. ماذا ستكون إجابتك بالتحديد؟



«هل أنا آتى سريعا»...
هل يعنى هذا شيئا

«هذا وأنكم عارفون الوقت أنها الآن ساعة لنستيقظ من النوم . فإن خلاصنا الآن أقرب مما كان حين آمنا . لقد تناهى الليل وتقارب النهار: فلنخلع أعمال الظلمة ونلبس أسلحة النور. لنسلك بلياقة كما فى النهار لا بالبطر والسكر لا بالمضاجع والعهر. لا بالخصام والحسد . بل البسوا الرب يسوع المسيح ولا تصنعوا تدبيراً للجسد لأجل الشهوات » رو١٣ :١١-١٤

«فانظروا كيف تسلكون بالتدقيق لا كجهلاء بل كحكماء مفتدين الوقت لأن الأيام شريرة . من أجل ذلك لا تكونوا أغبياء بل فاهمين ما هى مشيئة الرب » أف ٥ :١٥ - ١٧

«لأنه بعد قليل جداً سيأتى الآتى ولا يبطئ » عب ١٠ :٢٧

ولست بحاجة لاقناعك بأننا فى نهاية الأيام الأخيرة ، وإن كان الرسول بولس قال منذ ما يقرب من ألفى عام أنه بعد قليل جداً سيأتى الآتى.. فكم ياترى بقى من هذا القليل؟ إذا نظرت

فى الأحداث والصحف اليومية من حولك فى العالم كله يمكنك إدراك هذه الحقيقة ؟

« ولكن أعلم هذا أنه فى الأيام الأخيرة ستأتى أزمنة صعبة. لأن الناس يكونون محبين لأنفسهم محبين للمال متعظمين مستكبرين مجدفين غير طائعين لوالديهم غير شاكرين دنسين . بلا حنو بلارضى ثالبين عديمى النزاهة شرسين غير محبين للصلاح. خائنين مقتحمين متصلفين محبين للذات دون محبة الله . لهم صورة التقوى ولكنهم منكرون قوتها» ٢ تى ٣:١ - ٥

ترى هل تعتقد أن هذا الوصف ينطبق على الناس فى أيامنا الحالية؟

أعتقد بأن الصفات المذكورة هنا ببشاعتها تتحقق حرفياً وبجدارة !! ولا يمكن أن تكون أسوأ مما هى عليه الآن . فى جميع المجتمعات الإنسانية مع اختلاف صورها وأساليبها.

لست بصدد الكلام عن المجئ الثانى أو شرحه هنا ولكننى أريدك أن تتخيل معى إنساناً جاءته فرصة رائعة للهجرة إلى بلاد بعيدة ولتكن استراليا مثلاً وسوف يذهب قريباً بلا رجعة. ترى هل سيهتم بشراء بيتاً جديداً هنا بدلاً من ذلك القديم المتهالك ؟ أم سيحاول السعى لتحقيق وضعاً أفضل فى العمل ؟ أم يشترى ملابس جديده فاخره؟ أم يسعى لبناء صداقات جديدة ؟

لا أعتقد أن شيئاً من هذا كله سيشغله .. لأن التفكير فى استراليا وما فيها من فرص رائعة بالنسبة له يسيطر تماماً على

فكره وأحلامه ، سيهتم بمعرفة كل شئ عنها وأسلوب الحياة بها. سيحاول أيضاً إتقان اللغة التي يتحدثون بها هناك ، وبالتأكيد سيبيع جميع ممتلكاته بالكامل هنا في سبيل إعداد كل ما يتعلق باستراليا وحياته المقبلة فيها ويحول كل أمواله إلى عملة البلاد هناك حتى يمكنه الاستفادة بها عندما يذهب إليها .

وإذ يعلم ببقاء أيام قليلة محدودة قبيل الذهاب هناك ستجده كالنحلة لا يهدأ له بال حتى يرى جميع من يعرفهم ويقضى مع أحبائه فترات من الوقت لتوديعهم.. لأنه ذاهب هناك .. حيث مكانه الجديد الدائم !!

ترى هل تدرك جيداً هذه الحقيقة !؟ أن الأيام الباقية لنا هنا قليلة مهما طالت وكثرت.

وهل تدرك أن إلهك يحاول تحطيم أبراج حياتك العالية المتمثلة في ذاتك وقدراتك حتى يفيض الروح القدس بداخلك بسواقيه وينابيع محبة الله .. تلك الأنهار أنهار الماء الحى لتروى أولئك العطاش إلى البر من حولك !! في تلك اللحظات الأخيرة.

ترى ما هي اهتماماتك الآن ؟ وبماذا تحلم للغير؟

هل هناك أشياء مادية تريد تحقيقها قبل مجئ الرب ؟

أم أن كثير من الأشياء التي أعطاها هو لك يصعب عليك فراقها عندما يأتي المسيح ليأخذك إليه ؟

وهؤلاء الذين تراهم الآن وأحبائك الذين يجب أن تودعهم


هل أخبرتهم جميعاً عن حب يسوع لهم ؟

«اهتموا بما فوق لا بما على الأرض . (لماذا ؟) لأنكم قد متم وحياتكم مستتره مع المسيح فى الله . متى أظهر المسيح حياتنا (عندما يأتى ثانية) تظهرون أنتم أيضاً معه فى المجد» كو٣ :٢ - ٤

إن آخر ما ذكر فى الكتاب المقدس هو تأكيد يسوع بأنه سيأتى سريعاً إذ يقول « نعم . أنا آتى سريعاً» ترى ماذا يكون موقفك ؟

هل أنت تدعــوه من قلبك مع يوحنا.. لأنك تريد ذلك حقيقه وتقول « آمين تعال أيها الرب يسوع » رؤ٢٢ :٢٠

الفهرس


إن الله يريد
أن يمسك بدفة حياة
كل منا ويقود هذه
الحياة إلى عمق
القصد الإلهى
بحسب ترتيبه
الأزلى.
فهل تستطيع تسليم
دفة الحياة إليه؟
أم هناك قائد آخر
ممسك بها ويقودها!!
عليك أن تتأكد من هو
الممسك بدفة
حياتك.
لوجوس